

مورثات الخليل

عليه السلام

تأليف

أستاذ شيخ صابرين محمد أبو سليمان

ناشر

دار الفکر للطباعة والنشر

المطبعة ببلد بستان بستان

بومسای ۲۰۰۰

۲۹۷۱۲۰۳

ص ۱۰۰

مطالعات قرآنی

۲۹

بسم الله الرحمن الرحيم

مورد الظمآن

في

علوم القرآن

تأليف

الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان

مدرس علوم القرآن بشانوية تحفيظ القرآن بالرياض

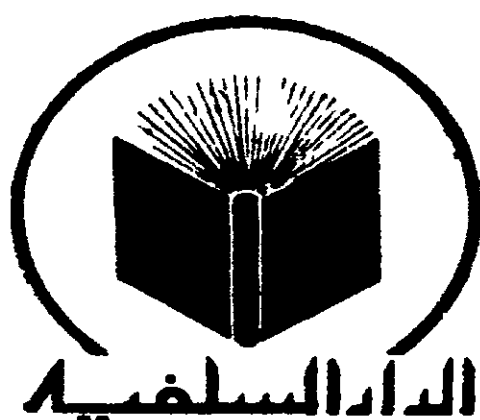
الناشر

الدار السلفية

١٣ - محمد علي بلبنك ، بيندي بازار بومباي ٣ [الهند]

سلسلة مطبوعات الدار السلفية رقم ٦٠

حقوق الطبع محفوظة للدار السلفية بمبائي



الطبعة الأولى

١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م

AL - DARUSSALAFIAH
13, Mohammed Ali Building,
Bhindi Bazar, BOMBAY - 400 003
(INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله أفضل رسل الله وصحبه وأزواجه
 وذريته وعلى كل من والاه . وبعد !

قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيركم من تعلم القرآن
وعليه ، وقد أنجز الله سبحانه وتعالى ما وعده به رسوله المصطفى من قوله
: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ،

قد وفق الله سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان من ارتضى من
عباده لخدمة القرآن الكريم فقاموا وخدموا القرآن خدمات عظيمة ، فمنهم
من حفظه وأتقن حفظه فهو يتلوه آناه الليل وآناه النهار ، ومنهم من فسر
وشرح غوامضه وكشف أسرارده ، ومنهم من صنف في بيان اللهجات
والقراءات ، ومنهم من بحث عن إعرابه وتركيبه العجيب ، ومنهم من بحث
عن الناحية البلاغية والصناعية في القرآن ، ومنهم من استنبط الأحكام
والفنون والعلوم منه ، ومنهم من صنف في علومه المتنوعة .

وكل واحد حرص أن يكون بمن بشر له الرسول الكريم صلوات
الله وسلامه عليه : خيركم من تعلم القرآن وعليه ، فقام بما تيسر له من
الخدمة لكتاب الله .

وإن الامام السيوطي رحمه الله وضع كتابه الجامع في علوم القرآن المسمى « بالاتقان » فكل من جاء بعده استفاد منه وإن كتابه من أحسن الكتب المؤلفة في علوم القرآن وإن كان بحاجة إلى تخريج بعض الأحاديث وبيان درجته من الصحة والسقم . ومن أدلى دلوه في خدمة الكتاب المكنون أخونا الفاضل الشيخ المقرئ صابر حسن محمد أبو سليمان وفقه الله مدرس علوم القرآن بثانوية تحفيظ القرآن بالرياض .

لجمع في كتابه المسمى بمورد الظمان في بيان علوم القرآن كل ما رآه نافعا وضروريا لطلبة وحملة القرآن وقد انتقى هذه البحوث من كتب جمة مؤلفة في علوم القرآن وحاول إيصال الطلاب إلى معرفة علوم القرآن بطريقة سهلة ، جزاء الله خيرا .

وإن الدار السلفية قد تعزز بطبع هذا الكتاب ونشره للاستفادة وهذا هو الكتاب الثاني في علوم القرآن المطبوع من الدار السلفية وقد سبق أن نشرت الدار « كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب » وقد أنشئت هذه الدار نشر الكتب النافعة للطلبة وأهل العلم وهي تحرص كل الحرص على طبع كتب سلفنا الصالح رحمهم الله وتعاون مع الراغبين في طبع الكتب النافعة .

والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويجعل آخرتنا خيرا من الأولى .
وصلى الله وسلم وبارك على محمد وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ؟

مختار أحمد الندوي	٢١ جمادى الاول ١٤٠٤هـ
مدير الدار السلفية بمبائي	٢٢ مارس ١٩٨٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله .
وأصلى وأسلم على صفوة الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد !

فلما كانت حاجة أبنائنا طلاب الصف الاول الثانوى بمدرسة تحفيظ
القرآن الكريم الثانوية ماسة الى تأليف كتاب فى - علوم القرآن يتناسب
مع مداركهم ومستواهم الثقافى .

دفعنى ذلك الى تأليف كتابى هذا المسمى [الرائد فى علوم القرآن]
حسب المنهج الذى أقرته وزارة المعارف مراعى فيه وضوح العبارة
وسبك اللفظ وجودة المعانى . عسى الله أن ينفع به أبنائنا طلاب القسم
الثانوى وكل من نظر فيه بعين الانصاف والتقدير والله أسأل أن يثيبنى
عليه وأن يتقبله منى عملا خالصا لوجهه الكريم وان يغفرلى ولوالدى
ولمشائخى ولأصحاب الحقوق على . انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ونعم
المولى ونعم النصير غفرانك ربنا وإليك المصير .

« علوم القرآن »

هذا اللفظ مركب إضافي وله جزآن : مضاف وهو « علوم » ،
ومضاف إليه وهو « القرآن » .

وله معنيان : معنى باعتباره مركبا إضافيا . ومعنى باعتباره علما .

أما المعنى الأول فيراد بكلمة علوم - وهو المضاف - كل علم يخدم
القرآن الكريم ، ويتصل به ، ويستند إليه ، وينتظم ذلك .

علم التفسير ، وعلم أسباب النزول ، وعلم إعجاز القرآن وعلم
الناسخ والمنسوخ ، وعلم إعراب القرآن ، وعلم القراءات ، وعلم عد الآي
وفواصلها ، وعلم الرسم العثماني ، وعلم الدين من فقه وتوحيد وغيرها
وعلم العربية من نحو وبلاغة وسواهما .

ويراد بكلمة « القرآن » ، وهو المضاف إليه - الكتاب المقدس المنزل
دلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما المعنى الثاني فيراد به أن لفظ « علوم القرآن » ، نقل من هذا
المعنى الإضافي وجعل علما على الفن المدون ، وأصبح مدلوله علما غير
مدلوله مركبا إضافيا .

ويمكن تعريفه علماً بأنه المباحث المتعلقة بالقرآن من ناحية مبدأ نزوله وكيفية هذا النزول ومكانه ومدته ، ومن ناحية جمعه وكتابته في العصر النبوي وعهدى أبي بكر وعمر ، ومن ناحية إعجازه ؛ وناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، وأقسامه وأمثاله .

ومن ناحية ترتيب سوره وآياته ، وترتيبه وأدائه إلى غير ذلك من النواحي .

وموضوع هذا العلم « القرآن الكريم » ، من النواحي المذكورة .
ولمعرفة هذا العلم فوائد عديدة نجمل أهمها فيما يلي :

الفائدة الأولى : إنه يساعد على فهم القرآن ، واستنباط الأحكام والآداب منه ويعرف الدارس له مبدأ نزوله ، وكيفية هذا النزول ومدته ، ويقف على نواحي إعجازه ، وعلى ناسخه ومنسوخه ، ومكيه ومدنيه ، ومحكمه ومتشابهه . وعلى ترتيب سوره وآياته ، وكيفية ترتيبه وأدائه إلى غير ذلك .

الفائدة الثانية : إن الدارس لهذا العلم يتسلح بسلاح قوى يمكنه من دحض مفتريات أعداء القرآن ، وتقنيد مزاعمهم ، وإبطال ترماتهم ؛ وغير خاف أن الدفاع عن القرآن الكريم من أوجب الواجبات على كل من يقدر عليه . ويجيد أساليبه وطرقه .

الفائدة الثالثة : إن الدارس لهذا العلم يكون ذا حظ كبير ، وقسط وفير من الثقافة القرآنية ، وما اشتمل عليه القرآن من علوم ومعارف بما

(المقدمة)

يكون له أحسن الأثر في إصلاح النفس ، وتزوية الضمير ، وتهذيب الخلق .
والخلاصة : أن أبحاث هذا العلم الكثيرة القيمة يستعان بدراستها
على فهم الكتاب العزيز ، والوقوف على شريف أسرارهِ وكريم أهدافهِ ؟

المؤلف

صابر حسن محمد أبو سليمان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

« الوحي »

معنى الوحي في اللغة :

الاعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره ،
ويدخل تحت ذلك أنواع عديدة من الاعلام منها :
الالهام الغريزي ، كالوحي الى النحل في قوله تعالى « وأوحى ربك
الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون »^١ ،
الهام الخواطر ، بما يلقيه الله في روع الانسان السليم الفطرة الطاهر الروح
كالوحي الى أم موسى في قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه »^٢ ،
وسوسة الشيطان وتزيينه خواطر الشر للانسان في قوله تعالى
« وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غرورا »^٣ .

ووحى الله تبارك و تعالى الى أنبيائه قد روعى فيه المعنيان الاصيلان

(١) سورة النحل رقم : ٦٨

(٢) سورة القصص رقم : ٦

(٣) سورة الانعام رقم : ١١٢

لهذه المادة : وهما الخلفاء والسريعة .

و معنى الوحي في الشرع تكليم الله سبحانه واحدا من عباده بطريقة
من طرق الوحي .
أنواعه هي :

- [١] تنزيل الكتب السماوية بواسطة ملك الوحي .
- [٢] اللقاء المعنى في قلب النبي أو قلبه في روعه .
- [٣] تكليم النبي من وراء حجاب .
- [٤] هي التي متى أطلقت انصرفت الى ما يفهم عادة من لفظة
"الايحاء" ، وقد صرحت الآية الكريمة بثلاثة أنواع من الوحي قال تعالى
" وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل
رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء انه على حكيم " ، .
طرقه هي :

- [١] أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس
- [٢] أن ينفث في روعه الكلام نقثا .
- [٣] أن يأتي في صورة الرجل فيكلمه .
- [٤] أن يأتيه الملك في النوم .
- [٥] أن يكلمه الله اما في اليقظة أو في النوم

(١) سورة الشورى رقم : ٥١

مورد الظمان في علوم القرآن

وعلى هذا النمط رسم النبي الكريم فيما صح من حديثه طريقة نزول الوحي على قلبه ، فقال : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، ، و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول ، .

فكشف النقاب صراحة عن صورتين من الوحي :

أحدهما : عن طريق القاء القول الثقيل على قلبه ، ولديه يسمع صوتا متعاقبا متداركا كصوت الجرس المصلصل المجلجل ، وفي مسند أحمد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم ، هل تحس بالوحي ؟ فقال أسمع صلاصل ثم اسكت وعند ذلك ، فما من مرة يوحى الى الا ظننت أن نفسى تقبض ، . قال الخطابي : والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبت أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك والحكمة في تقدمه أن يفرغ سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكانا لغيره وفي الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه وقيل انه انما كان ينزل مكذا اذا نزلت آية وعيد أو تهديد .

والثانية : عن طريق تمثيل جبريل له بصورة انسان يشاكلة في المظهر ولا ينافره ، ويطمئنه بالقول ولا يرعبه ، وما من شك في أن الصورة الاولى أشد وطأ وأثقل قولا ، كما قال الله تعالى . انا سنلقى عليك قولا

(١) ينكشف و ينجلي .

ثقيلاً ، حتى كان يصحب الوحي فيها رشح الجبين عرقاً ، كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين ، ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و ان جبينه ليتفصد عرقاً ، .

بل كانت وطأة الوحي في هذه الصورة تبلغ أحياناً من الشدة والثقل حداً يجعل راحلته تبرك به الى الارض اذا كان راكبها ولقد جاءه مرة كذلك ونخذه على نخذ زيد بن ثابت ، فتقلت عليه حتى كادت ترضها ، .

أما الصورة الثانية فهي اخف وطأ والطف وقعا ، فلا أصوات تجلجل ، ولا جبين يرشح ، بل تشابه شكله بين الملقى والمتلقى ، ييسر الامر في الوقت نفسه على ناقل الوحي الامين وعلى النبي الكريم .

وفي كلتا الصورتين يحرص النبي صلوات الله عليه على وعي ما أوحى اليه اذ قال في المرة الاولى : فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وفي الثانية ، فيكلمني فأعي ما يقول ، فثبت لنفسه الوعي الكامل لحالته قبل الوحي ، وحالته بعد الوحي ، وحالته أثناء الوحي سواء أخفت وطأة النازل القرآني عليه ، أم إشتدت وبهذا الوعي الكامل لم يخلط عليه السلام مرة واحدة - طيلة العصر القرآني الذي يضم كل مراحل التنزيل - بين شخصيته الانسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية ، فهو واع أنه انسان ضعيف بين يدي الله يخشى أن يحول الله بينه وبين قلبه ، ويتهل الى ربه في دعائه

المأثور : الله يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك ؛ اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، بل كان أول عهده بنزول الوحي - مخافة ضياع بعض الآيات من صدره يجعل بالقرآن من قبل أن يقضى إليه وحيه ، ويحرك به لسانه وشفتيه ليستذكره و لا ينساه ، ويحرص على متابعة جبريل في كل حرف يدارسه اياه حتى يسر الله عليه حفظه بتفريقه و تنجيته ؛ وأمره بالاطمئنان الى وعده فقال سبحانه ، لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا ياتنه^١ و نهاه عن منه العجلة التي لا مبرر لها فقال جل شأنه : « و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدني علما^٢ » .

و من يتل الآيات القرآنية التي تصور رسول الله انسانا ضعيفا بين يدي الله ، يستمد منه العون ، و يستهديه و يستغفره ، و يصدع بما يأمربه و احيانا يتلقى العتاب الشديد يجد في اعماق قلبه من الفيض الوجداني ما يحمله على الاقتناع بالفرق الذي لا يتناهى بين صفة الخالق و صفة المخلوق .

ان صورة محمد صلى الله عليه و سلم في القرآن هي صورة العبد المطيع ، الذي يخاف عذاب ربه ان عصاه ، لذا يلتزم حدوده ، و يرجو رحمته ، و يعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله ، قال تعالى :

(١) سورة القيامة رقم : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩

(٢) سورة طه رقم : ١١٤

مورد الظمان في علوم القرآن

و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاى نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون^١ .

الى غير ذلك من النصوص القرآنية التى تصور محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه لا دخل له فى الوحي ، فلا يصوغه بلفظه ؛ و لا يلقيه بكلامه وإنما يلقي اليه الخطاب القاء ، فهو مخاطب لا متكلم ؛ حاك ما يسمعه ، لا معبر عن شى يحول فى خاطره .

وقد نهى عليه السلام أول العهد بنزول الوحي عن تدوين شىء سوى القرآن^٢ لكي يحفظ للقرآن صفته الربانية ، ويحول دون اختلاطه بشىء ليست له هذه الصفة القدسية ؛ بينما كان عند نزول الوحي - ولو آية أو بعض آية - يدعو أحد الكتبة فوراً ليدون ما نزل من القرآن .

فها هو ذا النبي عليه السلام مقتنعا - من خلال ما سبق بان التنزيل القرآنى مصحوب بانحاء ارادته الشخصية ، وانسلاخه من الطبيعة البشرية

(١) سورة يونس رقم : ١٥ ، ١٦

(٢) فى صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه ، وحدثوا عني و لا حرج و من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

مورد الظمان في علوم القرآن

حتى ما بقي له عليه السلام اختيار فيما ينزل اليه أو ينقطع عنه ، فقد يتابع الوحي ويحمي حتى يكثر عليه ، وقد يفتر عنه أحوج ما يكون اليه .

ثم ما هو ذا الوحي ينقطع عن النبي و هو أشد ما يكون اليه شوقا ، وله طلبا فبعد أن نزل عليه جبريل باوائل سورة العلق ، اقرأ باسم ربك الذي خلق ، فتر الوحي ثلاث سنين ، فحزن النبي - كما قالت السيدة عائشة حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواحق الجبال ، فكلما أوفي بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد أنت رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه ، و بينا هو ماش ذات يوم اذ سمع صوتا من السماء فرفع بصره ، فاذا الملك الذي جاءه بحراء فرعب منه فرجع الى زوجته الوفية خديجة يقول : زملوني فانزل الله د يايتها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ، فخمى الوحي وتابع واستبشر النبي وتبدل انتظاره الحزين فرحة غامرة ، وأيقن أن هذا الوحي الذي استعصى عليه ولم يوافه طوع ارادته مستقل عن ذاته خارج عن ارادته ، فاستقر في ضميره الواعي أن مصدر هذا الوحي هو الله علام الغيوب .

وفي الصحيحين أن الوحي فاجأه وهو يقظ يلتبس الحقيقة ويبحث عن الله ، ولذلك رعب وجاء خديجة يرجف فؤاده . ولو وقع له هذا في المنام كما ذهب اليه بعض المفسرين لزال خوفه ورعبه بعد اليقظة ، فلا مرم ما قال القرآن : د ما كذب الفؤاد ما رأى أقمرونه على ما يرى ، .

(١) سورة النجم رقم : ١١ ، ١٢

مورد الظمان في علوم القرآن

بهذه الحساسية الواعية المرفهة صورت السيدة عائشة بدء الوحي فقالت :

« أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء . وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله يتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها - وصار على هذا المنوال - حتى جاءه الحق وفي رواية : فجاء الحق - وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : « اقرأ » قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني - أي ضمني وحصرنى حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده ؛ فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . »

و من الجدير بالذكر أن رجفة فؤاده عليه السلام تشير إلى الرعب الذي إعتراه لأن الوحي نزل عليه فجأة ولم يكن يتوقعه كما قال الله تعالى

وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك^١ ، وكما قال تعالى
« وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا^٢ » .

وان كنت قد أطنبت فى تفسير ظاهرة الوحي لأنها توطئة بين يدي
هذه الدراسة القرآنية .
الخلاصة :

وخلاصة ما يمكن أن نذكره فى ظاهرة الوحي ما يأتى :

- ١ - انها حالة غير اختيارية .
- ٢ - هى امر عارض غير عادى .
- ٣ - وهى قوة خارجية : لأنها لا تتصل بنفس النبي صلى الله عليه
وسلم الا حيناً بعد حين .
- ٤ - وهى قوة عالمة : لأنها توحي اليه علماً .
- ٥ - وهى قوة خيرة معصومة : لأنها لا توحي الا بالحق ولا تأمر
الا بالرشد .

(١) سورة القصص رقم : ٨٦

(٢) سورة الشورى رقم : ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

معرفة المكي والمدني

مكث النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة عمرا ما كان يدرى فيه ما الكتاب ولا الايمان ، ثم اختاره الله لتبليغ رسالته ؛ فأوحى اليه روحا من أمره ، وجعل مبعثه كبعث الرسل الذين مضوا من قبله في سن الأربعين ليكون أنضج فكرا وأصدق عزما ، وأمضى ارادة وأقوى بأسا ، وأوسع تجربة ، وأثبت حنانا .

ان في وسعنا الآن - أن نتدرج مع التنزيل القرآني مرحلة مرحلة مطمئنين الى ما وافانا به سلفنا الصالح في وصف تلك المراحل ابتداء ووسطا وختاماً ، وفي تقصى النوازل القرآنية المنجمة على حسب المناسبات الفردية أو الاجتماعية ، وفي تحرى جمع القرآن وحفظه واستنساخه في المصاحف وتحسين رسمه ، وفي الاستيثاق من متواتر أحرفه السبعة ، وفي تتبع أسباب نزوله وما صح من وجوه الترابط بين آياته ، بما عرف عنهم من ورع بالغ ، وحاسة نقدية مرهفة تعنى بالتناسق الفني .

حقائق التاريخ

وما لا يدع مجالا للشك - اذا وضعنا العلوم القرآنية موضع الموازنة -

مورد الظمان في علوم القرآن

في أن العلم بالملكى والمدنى أحوجها الى تمحيص الروايات ، و تحقيق النصوص ، والتحاكم الى التاريخ الصحيح و هو - على كل حال - أحوج من هذا كله من أسباب النزول ، لأن العلم بتلك الأسباب يتناول ضروبا معينة من الجزئيات المتعلقة بالمناسبات الفردية والاجتماعية ولا يتناول شيئا من التفصيلات القرآنية الأخرى التى نزلت ابتداء غير مبنية على أسباب . أما علم الملكى والمدنى فلا غنى له عن تناول القرآن كله سورا وآيات .

فكل سورة فيه اما مكية أو مدنية ، وقد تستثنى من السورة المكية آيات مدنية ، ومن السورة المدنية آيات مكية : كما أن كل آية فى القرآن معروفة ، الهوية ، واضحة السيرة فاذا اختلطت بغير زمرتها أخضعها العلماء الثقات لمقاييسهم النقدية الدقيقة حتى قطعوا أو كادوا يقطعون بانها تنتمى الى النوازل المكية أو المدنية .

كان العلم بالملكى والمدنى اذن جديرا بالعناية البالغة التى أحيط بها وخليقا أن يعد بحق منطلق العلماء لاستيفاء البحث .

في مراحل الدعوة الاسلامية ، والتعرف على خطواتها الحكيمة المتدرجة مع الأحداث والظروف والتطلع الى مدى تجاوبها مع البيئة العربية فى مكة والمدينة ، وفى البادية والحاضرة والوقوف على أساليبها المختلفة فى مخاطبة المؤمنين والمشركين وأهل الكتاب .

وفاء هذا العلم بتلك المعارف الواسعة جعل بحوثه اشتاتا وأوانا

مورد الظمان في علوم القرآن

فهو في آن واحد ترتيب زماني ، و تحديد مكاني ، و تبويب موضوعي و تعيين شخصي .

و يخيل إلينا أن هذه الألوان المتباينة قد طافت بازمان العلماء حين ترددوا في تقسيم المكي و المدني على أساس من المكان و الزمان او الأشخاص .

فن قال : المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة ، و المدني ما نزل بالمدينة لاحظ المكان .

و من قال : « و المكي ما وقع خطابا لأهل مكة و المدني ما وقع خطابا لأهل المدينة راعى أشخاص المخاطبين و من آثر الاخذ بالاصطلاح المشهور ، المكي ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه و سلم الى المدينة و ان كان نزوله بغير مكة ، و المدني ما نزل بعد الهجرة و ان كان نزوله بمكة عنى بالترتيب الزمني في مراحل الدعوة الاسلامية ونحن اذ ناخذ بهذا التعريف الاخير لا نكتم الطالب ما نلحه من تحقيق عناصر الزمان و المكان والأشخاص في الاصطلاحات الثلاثة على السواء بل نلح فيها أيضا عنصرا رابعا لا يخفى على ذي بصر : وهو عنصر الموضوع .

هذه سورة الممتحنة من أولها الى آخرها نزلت بالمدينة اذا لاحظنا

(١) و قد نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين دفع كتابه الى قريش =

المكان . وكان نزولها بعد الهجرة اذا اعتبرنا الزمان ، و وقعت خطابا لأهل مكة اذا أردنا الأشخاص ، واشتملت على توجيه اجتماعي محص قلوب المؤمنين اذا رغبتا بمعرفة موضوعها لذلك أدرجها العلماء في باب « ما نزل بالمدينة وحكمه مكي .

ومثل ذلك قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

نزلت بمكة اذا التمسنا المكان ، ويوم الفتح بعد الهجرة ان تحرينا الزمان والغاية منها الدعوة الى التعارف وتذكير الانسانية بوحدة أصلها ان عينا الموضوع ، وهي - ان راعينا الأشخاص - خطاب لأهل مكة والمدينة على السواء ، فما سماه العلماء مكيًا على الإطلاق ، ولا مدنيًا على التعيين ، بل أدرجوه في باب « ما نزل بمكة وحكمه مدني .

على أننا لم نتردد في تفضيل التقسيم الزمني في المكي والمدني ، لأننا أمام موضوع وثيق الصلة بالتاريخ ، فليس لنا أن نختار في مثله التبويب المكاني ما دما نرمي الى تحديد ما نزل بمكة أو المدينة ابتداءً ووسطًا وختامًا ، فان هذه الأطوار المتعاقبة تفرض أن يكون اختيار الترتيب الزمني أمرا

= يخبرها بمسير النبي الى مكة .

(١) سورة الحجرات رقم : ١٣

مورد الظمان في علوم القرآن

بديها لا مجال للتردد فيه . أما تعيين الأشخاص واستخراج الموضوعات
فأمران ثانويان .

بهذا المنهج التاريخي الزمني ، الذي لا يتجاهل أثر البيئة في الحياة
والأحياء أخذ المحققون من علمائنا وشددوا في مأخذهم به حتى منعوا الجاهل
بمراحل الدعوة الإسلامية أن يتصدى لكتاب الله مفسرا لآياته أو خاضعا فيه .
قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري : « من أشرف
علوم القرآن علم نزوله وجهاته ،

و ترتيب ما نزل بمكة ابتداء و وسطا و ختاماً و ترتيب ما نزل بالمدينة
كذلك ، ثم ما نزل بمكة و حكمه مدني و ما نزل بالمدينة و حكمه مكي .

و يعنينا من قول أبي القاسم النيسابوري هنا أنه قسم القرآن كله الى
ست مراحل زمنية : ثلاث في مكة ابتداء و وسطا و ختاماً و ثلاث بعدما في
المدينة ابتداء و وسطا و ختاماً .

و لو أتمنا عبارة أبي القاسم النيسابوري لوجدناه فيها - بعد التزامه
المنهج التاريخي الزمني - يلحق بهذا المنهج نفسه جزئيات تبدو في أنظارنا صغيرة
يسيرة ولكنها في نظره مامة جليلة اذا يجعل العلم بها فريضة على كل من
يعنى بتفسير كتاب الله المجيد فعلى المفسر الحاذق الماهر أن يعرف كذلك
ما نزل بمكة في أهل المدينة و ما نزل بالمدينة في أهل مكة ثم ما يشبه نزول

(١) هو النحوي المفسر ؛ امام عصره في القراءات ، توفي سنة ٤٠٦

المكي في المدني ، و ما يشبه نزول المدني في المكي ، ثم ما نزل بالجحفة ،
وما نزل بيت المقدس وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ثم ما نزل ليلا ،
وما نزل نهارا وما نزل مشيعا ، وما نزل مفردا ، ثم الآيات المدنية في
السور المكية ؛ والآيات المكية في السور المدنية ، ثم ما حمل من مكة الى
المدينة ، وما حمل من المدينة الى مكة ، وما حمل من المدينة الى أرض
الحبشة ، ثم ما نزل بجحلا ، وما نزل مفسرا ، وما نزل مرموزا ، ثم
ما اختلفوا فيه فقال بعضهم مكي ، وبعضهم مدني .

هذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها و يميز بينها لم يحل له
أن يتكلم في كتاب الله تعالى .

و العلماء الثقات وافونا بذلك كله ، فلكل آية في القرآن تاريخها بل
لكل لفظة فيه سيرتها وترجمتها .

بعد الذي وضخناه من تشدد علمائنا في استقصاء كل ما يتعلق بالمكي
والمدني - في أن الرواية الصحيحة هي الطريقة الوحيدة الى ترتيب القرآن
أمثل ترتيب زمني ، والروايات في هذا المجال لم ترد الا عن الصحابة الذين
شاهدوا مكان الوحي وعرفوا زهاته أو التابعين الذين سمعوا وصف ذلك وتفصيله
من الصحابة أما الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يرد عنه شيء من هذا
القليل لأنه عليه السلام ، كما يقول القاضي أبو بكر في «الاتصار» ، لم يؤمر
به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة وما لا شك فيه أن كثيرا

مورد الظمان في علوم القرآن

من الصحابة كانوا على علم كامل بالمكي والمدني به استطاعوا أن يستقصوا تلك الجزئيات الدقيقة التي حفلت بها كتب التفسير بالمأثور والمؤلفات الكثيرة في علوم القرآن .

وفي وسعنا أن نكون فكرة عن غزارة علم الصحابة في هذه الموضوعات من خلال قول ابن مسعود : زه والذى لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى الا وانا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت .

تنبيه : كثير من جزئيات المكي والمدني انتهى به العلم اليقيني عن طريق الاجتهاد ، و أن العقل كالنقل ، والقياس كالسمع في ثبوت العلم بالشئ . وقد لاحظ الجعبري هذا حين قال :

لمعرفة المكي والمدني طريقان : سمعي وقياسي - وعرف السماعي بأنه ما وصل اليقيني نزوله بأحدهما ، .

ثم أنشأ يذكر أمثلة وشواهد على القياس واذ قرنا أمثله بأمثلة العلماء الذين مارسوا القرآن وتذوقوا فنونه وأساليبه استنبطنا من مجموعها ضابطا قياسيا نستطيع به أن نميز السور المكية والمدنية ، وتعرف الى طابع كل منها وخصائصه وسنرى أن هذا الضابط قلما يتخلف عند التطبيق فمن خصائص السورة المكية تبعاً لهذا الضابط .

١ - كل سورة فيها لفظ " كلا " فهي مكية وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن . قال الدريني رحمه الله " وما نزلت كلا يثرب فاعلمن ولم تات

في القرآن في نصفه الأعلى .

- ٢ - كل سورة فيها سجدة فهي مكية .
 - ٣ - كل سورة أولها حروف التهجي فهي مكية سوى الزهراوين فانهما مدينتان بالاجماع و في الرعد خلاف .
 - ٤ - كل سورة فيها قصص الأنبياء و الأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة .
 - ٥ - كل سورة فيها قصة آدم و ابليس فهي مكية سوى البقرة ايضا .
 - ٦ - كل سورة فيها يأياها الناس و ليس فيها يأياها الذين آمنوا فهي مكية ولكنه ورد على هذا ما تقدم بين يديك من سورة الحج .
 - ٧ - كل سورة من المفصل فهي مكية و هذا يحمل على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميع سور المفصل .
- أما ضوابط المدني . فكما يأتي :

- ١ - كل سورة فيها الحدود و الفرائض فهي مدنية .
- ٢ - كل سورة فيها اذن بالجهاد و بيان لأحكامه فهي مدنية .
- ٣ - كل سورة فيها ذكر المناققين فهي مدنية ما عدا سورة العنكبوت والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الأحد عشرة الأولى منها فانه مدنية و هي التي ذكر فيها المناقون .

خصائص المكي

١ - نرى المكي غالبا يعالج موضوع بناء العقيدة بطريقة وحدانية وعقلية وموضوعية الأساس في اختصار كما يقول الأستاذ الشهيد سيد قطب [حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وحقيقة العلاقات ، وتعريف الناس بربهم الحق الذي ينبغي أن يدينوا له ويعبدوه ، ويتبعوا أمره وشرعه وتنحية كل ما أدخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من عبث ودخل وانحراف والتواء ، ورد الناس الى الالههم الحق الذي يستحق الدينونة لربوبته] .

٢ - ونرى في هذا النوع من القرآن جدالا للشركين بين خطابهم الواضح ؛ والغامض العقل ، واتباعهم العادات المألوفة التي وجدوا عليها آباءهم ونرى فيه هجوما عنيفا على الشرك والوثنية والعادات القبيحة ، وزجرا وتهديدا ووعيدا للكافرين .

٣ - ونرى أن المكي يغلب على آياته القصر ؛ وتكثر فيه كلمة كلا ، ويكثر فيه افتتاح السور بالحروف من أمثال [ق] و [حم] و [كهيعص] . وأسلوب عرضه مسوح عميق الايقاع ، بالغ التأثير .

٤ - ونرى أن القرآن المكي يكثر من عرض قصص المكذبين .

خصائص المدنى

- ١ - نرى المدنى غالبا يعالج بناء المجتمع المسلم و الاسرة المسلمة بتفصيل احكام الشريعة فى نواحي الحياة المختلفة ، من معاملات و زواج و طلاق و ميراث ، وكانت هذه الاحكام مبنية على العقيدة و منبثقة منها .
- ٢ - و نرى فى هذا النوع من القرآن فضلا للناققين و كشفا لموامراتهم ، و عرضا لتناقضاتهم و تسفيها لشعاراتهم المخادعة التى يطرحونها .
- ٣ - و نرى فيه مجادلة لأهل الكتاب ، و مناقشة لآرائهم التى تتعارض احيانا مع حقائق التاريخ .
- ٤ - و نرى فيه ذكرا لأحكام الجهاد و الحرب و السلم و الهدنة بما يتصل بشئون الدولة المسلمة و علاقاتها الدولية .
- ٥ - و نلاحظ أن هذه الأغراض و غيرها عرضت بأسلوب يناسبها ؛ فليس من شك فى أن موضوع النص يحدد لون الأسلوب و طريقته ، ولهذا فأننا نرى أن الآيات فى القرآن المدنى يغلب عليها الطول . ولكن أسلوب القرآن فى النوعين : المسكى و المدنى يبقى هو الأسلوب المعجز الذى تميز عن أساليب البشر و يبقى هو الأسلوب الذى بلغ الذروة فى الجمال والبيان و الروعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

علم اسباب النزول

قد جعل الله لكل شئ سببا كما جعل لكل شئ قدرا ، فما يبصر مولود نور الحياة الا بعد اسباب وأطوار ، ولا يقع حدث في الوجود الا اثر مقدمات وارهصات ، ولا تتغير الانفس والآفاق الا عقب سلسلة من التمهيد والاعداد .

« سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ،

ولا شئ كالتاريخ يشهد بصدق هذه السنة وانطباقها على واقع الحياة فما يسع مؤرخا ثاقب النظر دقيق الاستنتاج أن يجهل اسباب الحوادث ودوافعها ان اراد الوصول الى الحقائق التاريخية الثابتة من خلال الوثائق والنصوص .

لكن التاريخ لا يتفرد وحده بالحاجة الى استنباط النتائج من خلال المقدمات ، و استبطان الحقائق من مضمون الأسباب ، بل العلوم الطبيعية والدراسات الاجتماعية والفنون الأدبية تشارك التاريخ كذلك في تطلعها الى معرفة الأسباب والمسببات ؛ واستشرافها الى العلم بالمبادئ والغايات .

قال الجعبرى :

نزول القرآن على قسمين . قسم نزل ابتداء غير مبنى على سبب من سؤال وحادثة ، كأكثر الآيات المشتملة على قصص الأمم الغابرة مع أنبيائها أو وصف بعض الوقائع الماضية أو الأخبار الغيبية المستقبلية ، أو تصوير قيام الساعة أو مشاهد القيامة أو أحوال النعيم والعذاب ، وهى فى القرآن كثيرة انزلها الله لهداية الخلق الى الصراط المستقيم وجعلها مرتبطة بالسياق القرآنى سابقة ولاحقة ، من غير أن تكون اجابة عن سؤال أو يانا لحكم شىء وقع . وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال وهذا محل البحث غير أننا لا نريد أن نستعرض جميع الآيات التى جاءت على أسباب ، فذلك شىء بعيد المدى إنما الغرض أن نحيطك علما بما يمكن احاطته من أسباب النزول .

زعم بعض الناس أنه لا فائدة للامام بأسباب النزول وانها لا تعدو أن تكون تاريخا للنزول أو جارية مجرى التاريخ وقد أخطأ فيما زعم ، فان لأسباب النزول فوائد متعددة - .

منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .
ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب
ومنها الوقوف على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح القشيرى « يان سبب النزول طريق قوى فى فهم الكتاب العزيز » .
ومنها أن يكون اللفظ عاما ، ويقوم الدليل على تخصيصه
ومنها الوقوف على المعنى وازالة الاشكال .

قال الواحدى :

لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها .

و قال ابن دقيق العيد :

بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معانى القرآن .

قال ابن تيمية :

معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب و منها دفع توهم الحصر و قال الشافعى رضى الله عنه ما معناه فى معنى قوله تعالى [قل لا أجد فيما أوحى الى محرما] .

ان الكفار لما حرموا ما أحل الله ، و أحلوا ما حرم الله ، وكانوا على المضادة و المحادة جاءت الآية متناقضة لغرضهم ، فكأنه قال : لا حلال الا ما حرمتوه و لا حرام الا ما أحللتوه ، نازلة منزلة من يقول لا تاكل اليوم حلالة ، فتقول : لا آكل اليوم الا الحلالة .

والغرض المضادة لا النفي والاثبات على الحقيقة فكأنه قال : لا حرام الا ما حللتوه من الميتة والدم ولحم الخنزير و ما أكل لغير الله به ؛ ولم يقصد حل ما وراه ، اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات الحل .

قال امام الحرمين^٢ ، و هذا فى غاية الحسن ، ولولا سبق الشافعى

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) هو أبوالمعالى عبد الملك بن أبى عبدالله بن يوسف بن محمد الجوينى الشافعى

الى ذلك لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية وهذا قد يكون من الشافعي اجراء مجرى التاويل ، ومن قال بمراعاة اللفظ دون سبيه لا يمنع من التأول .

ان آيات الظهار - في أوائل سورة المجادلة - نزلت في أوس بن الصامت ، فقد ظاهر من امرأته فخرمها على نفسه كظهر أمه . وصرحت الآيات بان كفارة الظهار تحرير رقبة ، أو صيام شهرين متتابعين ، أو اطعام ستين مسكينا ؛ ثم وقعت لسلمة بن صخر واقعة بمائلة ، فظاهر من امرأته حتى ينسلخ شهر رمضان ، فلما سال النبي عن شأنه أفتاه بما أنزل الله في أوس . ولم يكن حديث سلمة سبب نزول الآيات ولكن حديث أوس كان سبب نزولها يد أن العلماء اتفقوا على تعدية هذه الآيات الى غير سببها ، فقالوا في أوائل تفسيرهما على سبيل التجوز :
نزلت آيات الظهار في سلمة بن صخر .

وفي حديث الافك نزل حد القذف في رماة السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وكان رماتها معلومين ولكن حد القذف تعدام الى غيرهم ، رغم ارتكابهم اقبح قذف وأوقعه لأنهم رموا أم المؤمنين ، ومن رمى أم قوم فقد رماهم ، حتى جاءت عبارة الآية عامة جمعت في لفظ المحصنات

■ العراقي ، شيخ الامام الغزالي ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي

توفي سنة ٤٧٨ هـ

مورد الظمان في علوم القرآن

عائشة مع غير ما فقال الله تعالى « و الذين يرمون المحصنات » ، .
والقول بتعدية الآيات الى غير أسبابها جر الجمهور الى الاخذ بعموم
اللفظ بدلا من خصوص السبب .
ومنها ازالة الاشكال في الصحيح عن مروان بن الحكم انه بعث الى
ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد
بما لم يفعل معذبا لتعذبن أجمعون .

فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ثم تلا قوله
تعالى « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه »
الى قوله تعالى « لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما
لم يفعلوا .

قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه و سلم عن شيء فكتموه
و أخبروه بغيره فخرجوا و قد أرووه أن قد أخبروه بما سألهم عنه فاستحمدوا
بذلك اليه و فرحوا بما أتوا من كتبائهم ما سألهم عنه . انتهى بتصرف .
و من ذلك قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات
جناح فيما طعموا » ، .

فحكى عن عثمان بن مظعون و عمرو بن معد يكرب أنها كانا يقولان
الخنز مباحة ، و يحجان بهذه الآية و خفي عليهما سبب نزولها ، فانه يمنع من

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة المائدة رقم : ٩٣

مورد الظمان في علوم القرآن

ذلك ، وهو ما قاله الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر ، قالوا : كيف باخواننا الذين ماتوا وهم في بطونهم ؛ وقد أخبر الله أنها رجس فانزل الله تعالى
 « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح » .

و من ذلك قوله تعالى : « واللاتي ينسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم » . قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة ، وقد بينه النزول روى ان ناسا قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا عدة ذوات الاقراء ، فما عدة اللاتي لم يحضن من الصغار والكبار ؟ فتزلت ، فهذا يبين معنى [ان ارتبتم] أى ان أشكل عليكم حكمهن ، وجهلتم كيف يعتدون ؟ فهذا حكمهن .

و من ذلك قوله تعالى : [والله المشرق والمغرب ، فاينما تولوا فثم وجهه الله] .

فانا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضى ان المصل لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا ، وهو خلاف الاجماع فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها ، وذلك أنها نزلت لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته ، وهو مستقبل من مكة الى المدينة حيث توجهت به ، فعلم أن هذا هو المراد .
 و من ذلك قوله تعالى : [ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم] .

(١) سورة الطلاق رقم : ٤

(٢) سورة البقرة رقم ١١٥

(٣) سورة التغابن رقم : ١٤

مورد الظمان في علوم القرآن

فان سبب نزولها أن قوما أرادوا الخروج للجهاد فمنعهم أزواجهم وأولادهم [فأنزل الله تعالى هذه الآية ثم أنزل الله في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذه فقال : و ان تغفروا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم] .

أول السنة :

و قد ينزل الشيء مرتين تعظيما لشانه ، و تذكيرا به عند حدوث سببه خوف نسيانه ؛ و هذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة ، و أخرى بالمدينة و كما ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان النهدي عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبله ، فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فاخبره ، فأنزل الله تعالى [وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات] فقال الرجل الى هذا ؟ فقال : بل لجميع أمتي فهذا كان في المدينة ، و الرجل قد ذكر الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر .

وسورة هود مكية بالاتفاق ، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث ؛ ولا اشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة ومثاله في الصحيحين عن ابن مسعود في قوله تعالى [ويسألونك عن الروح] أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهو في المدينة . و معلوم أن هذه في سورة الاسراء وهي مكية بالاتفاق ،

(١) سورة هود رقم ١٤٤ .

(٢) سورة الاسراء رقم : ٨٥

فان المشركين لما سألوه عن ذى القرنين و عن اهل الكهف قبل ذلك بمكة
وان اليهود امروهم ان يسألوه عن ذلك ، فانزل الله الجواب كما قد بين في
موضعه وكذلك ما ورد في [قل هو الله أحد] انها جواب للمشركين بمكة و انها
جواب لاهل الكتاب بالمدينة .

وكذلك ما ورد في الصحيحين من حديث المسيب لما حضرت
ابا طالب الوفاة ، وتلكا عن الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا ستغفرون لك ما لم أنه ، فانزل الله [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولى قربي] وأنزل الله في أبي طالب [انك لا تهدي من
أحببت] .

وهذه الآية نزلت في آخر الامر بالاتفاق ، وموت أبي طالب كان
بمكة ، فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى وجعلت اخيرا في براءة والحكمة في
هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثة تقتضى نزول آية ، وقد نزل
قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها الى النبي صلى الله عليه وسلم
تذكيرا لهم بها وبأنها تتضمن هذه والعالم قد يحدث له حوادث ، فيتذكر
احاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة و ان لم تكن خطرت له تلك
الحادثة . مع حفظه لذلك النص :

وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من

مورد الظمان في علوم القرآن

هذا الباب .

ولا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال :
نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ،
لا أن هذا كان السبب في نزولها .

وذمب جماعة من المحدثين أن هذا من المرفوع المسند كما في قول
ابن عمر في قوله تعالى [نساؤكم حرث لكم] .

وأما الامام أحمد^٢ فلم يدخله في المسند ، وكذا مسلم وغيره وجعلوا
هذا ما يقال بالاستدلال و بالتأويل فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية
لا من جنس النقل لما وقع .

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصا و الصيغة عامة ، لينبه على أن العبرة بعموم
اللفظ .

وقال الزمخشري في سورة الهجرة يجوز أن يكون السبب خاصا
و الوعيد عاما ، ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى
التعريض بالوارد فيه ، فإن ذلك أزجر له ؛ وأنكى فيه .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٣

(٢) هو الامام أحمد بن محمد بن حنبل صاحب المذهب وكتاب المسند ولد سنة

١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١

(تنبيه-4)

اختلف علماء الأصول : هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب .
فذهب الجمهور الى الأول ، وقد نزلت آيات في أسباب واتفقوا على
تعديتها الى غير اسبابها كنزول آية الظهار في سلمة بن صخر ، وآية اللعان في
شأن هلال بن أمية وحد القاذف في رماة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ثم
تعدى الى غيرهم وقد تقدم بسط الكلام في ذلك وذهب البعض الى أن العبرة
بخصوص السبب و معنى هذا أن لفظ الآية يكون مقصوراً على الحادثة التي
نزل هو لأجلها أما أشباهها فلا يعلم حكمها من نص الآية ؛ إنما يعلم بدليل
مستأنف آخر ، هو القياس اذا استوفى شروطه أونص كقوله صلى الله عليه
وسلم « حكمى على الواحد حكمى على الجماعة ، فأية القذف السابقة النازلة
بسبب حادثة هلال مع زوجته خاصة بهذه الحادثة وحدها » على هذا الرأى .
أما حكم غيرهما بما يشبهها ، فانما يعرف قياساً عليها أو عملاً بالحديث
المذكور .

(تنبيه-5)

ان هذا الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم ، محله اذا لم تقم قرينة
على تخصص لفظ الآية العام بسبب نزوله أما اذا قامت تلك القرينة فان
الحكم يكون مقصوراً على سببه لا محالة ، باجماع العلماء .

(تنبيه)

كما يجب أن نلاحظ أيضا إلى أن حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند هؤلاء و هؤلاء إلى أفراد غير السبب يد أن الجمهور يقولون انه يتناولهم بهذا النص نفسه وغير الجمهور يقولون انه لا يتناولهم الا قياسا أو بنص آخر كالحديث المعروف .

« حكمى على الواحد حكمى على الجماعة ،

وخلاصة القول :

أن ثمة هذا الخلاف ترجع إلى أمرين ، أحدهما ، أن الحكم على أفراد غير السبب مدلول عليه بالنص النازل فيه عند الجمهور . وذلك النص قطعى المتن اتفاقا ؛ وقد يكون مع ذلك قطعى الدلالة . أما غير الجمهور فالحكم عندهم على غير أفراد السبب ليس مدلا عليه بذلك النص بل بالقياس أو الحديث المعروف ؛ وكلاهما غير قطعى .

« الثانى ، أن أفراد غير السبب كلها يتناولها الحكم عند الجمهور ما دام اللفظ قد تناولها . أما غير الجمهور فلا يسحبون الحكم إلا على ما استوفى شروط القياس منها دون سواء .

« ان أخذوا فيه بالقياس ،

ثم اعلم أنه قد يكون النزول سابقا على الحكم ، وهذا كقوله تعالى :

مورد الظمان في علوم القرآن

« قد أفلح من تزكى » ، فانه يستدل بها على زكاة الفطر ، روى البيهقي بسنده الى ابن عمر انها نزلت في زكاة رمضان ، ثم أسند مرفوعا نحوه ، وقال بعضهم : لا ادرى ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية ، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

و أخرج البغوى في تفسيره ، بانه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم : كما قال « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » ، فالسورة مكية وظهر اثر الحل يوم فتح مكة ؛ حتى قال عليه السلام : « أحلت لى ساعة من نهار » .

وكذلك نزل بمكة « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ، وقال عمر بن الخطاب : كنت لا ادرى اى الجمع يهزم ، فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول [سيهزم الجمع ويولون الدبر] .

يكون الحكم سابقا على النزول كما فى آية الوضوء فى صحيح البخارى عن عائشة قالت « سقطت قلادة لى باليداء ونحن داخلون المدينة ، فأتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فتنى رأسه فى حجرى راقدا ؛ وأقبل أبو بكر فلكزنى لكزة شديدة وقال حبست الناس فى قلادة ، ثم ان النبى

(١) سورة الأعلى رقم : ١٤

(٢) سورة البلد رقم : ١ - ٢

(٣) سورة القمر رقم : ٤٥

صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد ؛ فنزلت - يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة إلى قوله - لعلمكم تشكرون^١ فالآية مدنية إجماعاً ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة : قال ابن عبد البر : معلوم عند جميع أهل المغازي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند قال : والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتنزيل . وقال غيره : يحتمل أن يكون أول الآية نزل مقدماً مع فرض الوضوء ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة . قلت يرد الإجماع على أن الآية مدنية : ومن أمثله أيضاً : آية الجمعة ، فإنها مدنية والجمعة فرضت بمكة ، وقول ابن الغرس أن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط برده ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت قائد أبي حين ذهب بصره ، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة فقلت يا أبتاه أرايت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الأحرف السبعة

نجد في الأحاديث الصحيحة المروية من طرق مختلفة ما يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف . ومن أصرح هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

« سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أساوره في الصلاة ، فانتظرت حتى سلم ، ثم لبته بردائه أو بردائي فقلت : من أقرأك هذه السورة ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت له : كذبت ، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها ، فانطلقت أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، أني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها وأنت أقرأني سورة الفرقان : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله يا عمر ، اقرأ يا هشام . فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا أنزلت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . »

« ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه ، و روى هذا الحديث عن جمع كبير من الصحابة منهم عمر و عثمان و ابن مسعود و ابن عباس وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين . »

و روى الحافظ أبو يعلى في مسنده الكبير أن عثمان رضى الله عنه قال يوما وهو على المنبر : « أذكر الله رجلا سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، لما قام قماموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ، فقال عثمان رضى الله عنه : « و أنا أشهد معهم ، و توافر هذه الجموع التي لم تحصى عددا على هذا الموضوع ، حمل بعض الأئمة على القول بتواتر الحديث ، و في طليعة هؤلاء أبو عبيد القاسم بن سلام و اذا لم يتوافر التواتر في الطبقات المتأخرة ، فحسبنا صحة الأحاديث التي ذكرناها مؤكدة لهذه الحقيقة الدينية التي نطق بها رسول الله عليه السلام و يحنج جمهور العلماء الى ان المصاحف العثمانية اشتملت على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ، و اختار القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني هذا الرأي و قال :

« الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الأئمة وأثبتها عثمان والصحابة في المصحف ،

وأخبروا بصحتها ، وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا .

وعبارة « الأحرف » ، وهى جمع حرف - الواردة فى الحديث تقع على معان مختلفة فقد تكون بمعنى القراءة كقول ابن الجزرى « كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر » ، وقد تفيد المعنى والجهة كما يقول أبو جعفر محمد بن سعدان النحوى^١ .

ولكن القول بأن المراد بها القراءات - كما حكى عن الخليل بن أحمد - هو أضعف الأقوال بلا ريب ، ولا سيما إذا توهم القائل أنها ما يسمى بالقراءات السبع واختلاف العلماء فى تحديد المراد من « الأحرف » ، المذكورة فى الحديث آثار عددا من الأقوال المتضاربة فى حقيقة الذى أنزل . فرأى فيه بعضهم خمسة و ثلاثين وجها ، و بلغ بها آخرون أربعين ، وأكثرها لا يؤيد ما نقل صحيح و لا منطق سليم . ومنشأ الخطأ فيها ارادة التعيين على سبيل القطع والجزم مع أنه لم يأت فى معناها كما يقول ابن العربى - « نص ولا أثر » ، و اختلف الناس فى تعيينها ، .

و لم يكن بد من أن يتساءل العلماء : هل العدد محصور فى سبعة أحرف أم المراد التوسعة على القارئ و لم يقصد به الحصر ؟

فالذين يستبعدون الحصر هنا يغالون فى هجران النصوص البالغة درجة

(١) هو أحد القراء بدأ يقرأ بقراءة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة خاصة تنسب

إليه توفى سنة ٢٣١

التواتر - كما أسلفنا - مع أن تواردها على عدد « السبعة » ، لا يعقل بحال من الاحوال أن يكون غير مقصودة و لا سيما اذا لوحظ أن الحديث يتناول قضية ذات علاقة مباشرة بالوحي وطريقة نزوله ، و في مثل هذه الأمور لا يلتقي الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر غامضا و لا يذكر عددا لا مفهوم له ، فما نقل عن علماء الصحابة في هذا ليس له صلة بالاعتقاد ولكن قوما ممن لا يبالون بالنصوص و لا يتورعون عن هجرانها أو اخراجها عن ظاهرها تسرعوا فأوا « أنه ليس المراد بالسبعة العدد ، بل المراد التيسير و التسهيل والسعة » ، ولفظ السبعة يطلق على ارادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعون في العشرات والسبعائة في المئين ، و لا يراد العدد المعين ، و من الغريب أن ينسب مثل هذا الرأي الى القاضي عياض و هو الذي لا يفضل على الرواية الصحيحة شيئا ولكن السيوطي رد على هذا القول ردا قويا مؤيدا بالنصوص .

واذن فلفظ السبعة لا يراد به الكثرة بل الحصر كما فهمه جل العلماء و هو الذي كان السبب فيما عانوه من محاولة البحث عن هذا العدد المعين فالأكثر - كما يقول ابن حيان - على أنه محصور في سبعة يد أن كثيرا من تلك

(١) القاضي عياض هو عالم المغرب و امام اهل الحديث في قرطبة ، و هو عياض ابن موسى بن عياض بن عمرو اليحصي ، صاحب كتاب الشفاء ، بتعريف حقوق المصطفى ، توفي سنة ٥٤٤ هـ .

المحاولات لم يحالفها التوفيق ، كما رأينا قول من جنح الى أن الأحرف السبعة هي القراءات ، ويكاد يقارب هذا القول في الضعف رأى الذين حصروا هذه الأحرف في بعض اللهجات أو اللغات .

و هذه الآراء السابقة كلها - على ضعفها - لا نستغرب ذكر العلماء لها بين تلك المجموعات من الأقوال الشارحة للأحرف السبعة ، ولكننا لا نستغرب فحسب بل نستذكر استنكارا شديدا جنوح بعض العلماء الى مثل هذه المفهومات السقيمة ويرون في الأحرف السبعة ما لا يراه الناس و اذا لم يصح الاختصار على أحد تلك الآراء السابقة فقد بدا لنا استقصاء الممكن منها و هو لا يعارض النقل والعقل ، ربما كان أصوب الآراء و أبعدا عن الإفراط والتفريط : فالمراد من هذه الأحرف السبعة والله أعلم - الأوجه السبعة التي وسع بها على الأمة ؛ فبأى وجه قرأ القارئ منها فقد أصاب - ولقد كان النبي صلى الله عليه و سلم يصرح بهذا كل التصريح حين قال : « أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل استعيده حتى انتهى الى سبعة أحرف فاللفظ القرآني الواحد مهما تعدد أداؤه وتنوع قراءته لا يخرج التباين فيه عن الوجوه السبعة الآتية .

الأول : اختلاف الأسماء في افرادها وتثنيها وجمعها وتذكيرها وتانيثها .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر .

الثالث : اختلاف وجوه الأعراب .

مورد الظمان في علوم القرآن

الرابع : اختلاف بالنقص و الزيادة .

الخامس : اختلاف في التقديم والتأخير .

السادس : اختلاف الابدال .

السابع : اختلاف اللهجات في الفتح و الامالة و الترقيق و التفخيم

والتحقيق والتسهيل و الادغام و الاظهار .

و قال ابن الجزرى : قد تبعت صحيح القراءات و شاذها و ضعيفها

و منكرها فاذا هي يرجع اختلافها الى سبعة اوجه لا تخرج عنها ، و ذلك

اما في الحركات بلا تغير في المعنى و الصورة نحو البخل بضم الباء و سكون

الحاء ؛ و البخل بفتح الباء و الحاء ، و يحسب بكسر السين و فتحها أو تغير في

المعنى فقط نحو : فلقى آدم من ربه كلمات ، فقد قرئ بنصب آدم و رفع

كلمات .

و اما في الحروف بتغير المعنى دون الصورة نحو : تبلو ، فقد قرئ

تلو ، بتامين ، أو تغير الصورة لا المعنى نحو : الصراط ، فقد قرئ بالسين

على الأصل . أو بتغيرهما نحو : فاسعوا ، فقد قرئ شاذا فامضوا ، و اما

في التقديم و التأخير نحو : فيقتلون و يقتلون ، فقد قرئ بتقديم الفعل المبني

للمجهول على الفعل المبني للمعلوم أو في الزيادة و النقصان نحو : وصى ،

فقد قرئ بزياد همزة بين الواوين و تخفيف الصاد ، فهذه سبعة لا يخرج

الاختلاف عنها .

قال: وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام والتخفيف والتسهيل والنقل والابدال فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا انتهى .

و الخلاصة : أن تنوع القراءات ، يقوم مقام تعدد الآيات . و ذلك ضرب من ضروب البلاغة ، يبتدئ من جمال هذا الایجاز ، و ينتهى الى كمال الإعجاز أضف الى ذلك ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله و على صدق من جاء به و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم فان هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي الى تناقض في المقرؤ و تضاد بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا و يبين بعضه بعضا ، و يشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم . و ذلك - من غير شك - يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف .

قال ابن الجزرى :

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندما فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها و لا يحل انكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من

الأئمة المقبولين ، ومتى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة ، سواء أكانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم ، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف و الخلف صرح بذلك الداني ومكي و المهدي و أبو شامة و هو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه .

قال أبو شامة : في المرشد الوجيز لا ينبغي أن يغير بكل قراءة تعزى الى أحد السبعة و يطلق عليها لفظ الصحة و أنها أنزلت هكذا ، الا اذا دخلت في ذلك الضابط ، و حيثئذ لا يتفرد بنقلها مصنف عن غيره ، و لا يختص ذلك بنقلها عنهم ، بل ان نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة ، فان الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب اليه ؛ فان القراءة المنسوبة الى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه و الشاذ غير مؤلأ السبعة اشتهرتهم و كثرة الصحيح المجمع في قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم .

و كم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم و لم يعتبر انكارهم كخفض و الارحام^١ و نصب^٢ ليجزى قوما^٣ ، و الفصل بين المضافين في قراءة ابن عامر في قوله ، و كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم^٤

(١) سورة النساء رقم : ١

(٢) سورة الجاثية رقم : ١٤

(٣) سورة الانعام رقم : ١٣٧

وغير ذلك .

قال الداني :

وأئمة القراء : لا تعمل في شئ من حروف القرآن على الإفشاء في اللغة ، والأقيس في العرية . بل على الأثبت في الأثر الأصح في النقل ، وإذا أثبت الرواية لم يردما قياس عرية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها . انتهى .

(تنبيهات)

الأول :

لا خلاف أن كل ما هو من القرآن يجب أن يكون متواترا .

الثاني :

قال الزركشي في البرهان : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والاعجاز ، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفية من تخفيف وتشديد وغيرهما .

الثالث :

قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل ، وقال : أبو العباس بن عمار . لقد نقل مسبع هذه

السبعة ما لا ينبغي له . و اشكل الأمر على العامة بابهامه كل من قل نظره
أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ، وليته اذ اقتصر نقص عن السبعة
أو زاد ليزيل الشبهة . و وقع له أيضا في اقتصاره على كل امام على راويين
أنه صار من سمع قراءة راو ثالث غيرهما أبطلها ؛ وقد تكون هي أشهر
وأصح وأظهر .

الرابع :

اختلاف القراءات يظهر اختلاف الأحكام ولهذا بنى الفقهاء نقض
وضوء الملبوس وعدمه على اختلاف القراءة في « لمستم » ، « بالقصر » ، « ولا مستم » ،
« بالمد » ، « جواز وطئ الحائض عند الانقطاع قبل الغسل وعدمه على
الاختلاف في « يطهرن و يطهرن » .

الخامس :

من المهم معرفة توجيه القراءات ، وقد اعتنى به الأئمة و أفردوا فيه
كتبا منها الحجة لأبي على الفارس :

حكمة تعدد القراءات

١ - التخفيف والتيسير على هذه الأمة في قراءة القرآن : ففي الناس المرأة
والشيخ و الانسان العادي ممن لا يقدرُونَ على النطق بغير لهجاتهم
وقد آانس الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فطلب من ربه المعافاة فاستجاب
له ، وخفف على أمته ، و أنزل القرآن على قراءات متعددة .

- ٢ - شرح الألفاظ : مثلا القراءة التي وردت الآية فيها كما يأتي : • وتكون الجبال كالصوف المنفوش^١ ، أفادت في شرح كلمة [العهن] الواردة في القراءة الأخرى المعروفة : [وتكون الجبال كالعهن المنفوش] •
- ٣ - بيان حكم من الأحكام : مثل قوله تعالى [وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منها السدس^٢] •
- قرأ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه [وله أخ أو أخت من أم] بزيادة لفظ • من أم ، وكذلك قوله تعالى [فاعزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن^٣] •
- فقراءة [يطهرن] بالتشديد مبينة لمعنى قراءة التخفيف •
- ٤ - دفع توهم ما ليس مرادا : مثل قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله] قرئ [فامضوا الى ذكر الله] فالقراءة الأولى توهم وجوب السرعة في المشي الى صلاة الجمعة ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم •
- ٥ - تحدى القرآن جميع العرب ، فلو أتى بلغة دون لغة لقال الذين لم يأت بلغتهم : لو أتى بلغتنا لآتيننا بمثله •

(١) سورة القارعة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ١٢

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الجمعة رقم : ٩

٦ - ان وجود القراءات حمل النحويين على توجيهها ، فانغى هذا التوجيه العرية بعد قمرها .

قال الزركشى : [وقد اعتنى بتوجيه القراءات الائمة ، وأفردوا فيها كتباً . منها كتاب د الحجة ، [لأبي علي الفارس وكتاب د الكشف لمكي وكتاب ، المحتسب في توجيه الشواذ لابن جنى .

٧ - ومن فوائد تعدد القراءات اظهار سر الله في كتابه وصيائته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة .

الملاحظات حول القراء السبعة

١ - ان مؤلاء القراء السبعة من أنصار العلم المعروفة التي انبثق منها علم النبوة كما يقول ابن تيمية - وهي : مكة والمدينة ، والكوفة والبصرة ، والشام و يلاحظ من معرفة مؤلاء القراء ان حظ الكوفة أكبر من غيرها من الأمصار اذ كان منها ثلاثة من سبعة وهم : عاصم وحمة والكسائي .

٢ - ان مؤلاء القراء جميعا كانوا من رجال القرن الثاني الهجرى أدرك معظمهم القرن الأول ، وتلقوا عن الصحابة ، ولذلك فقد كان معظمهم من التابعين ، وأولهم وفاة هو ابن عامر توفى سنة ١١٨ وأخهم وفاة الكسائي توفى سنة ١٨٩

٣ - ان مؤلاء القراء من الموالى باستثناء قارئيه وهما أبو عمرو بن العلاء

مورد الظلمآن في علوم القرآن

وعبد الله بن عامر .

٤ - ان هؤلاء القراء جميعا كانوا من المعمرين الذين أتيح لهم أن يقرئوا الناس القرآن مدة طويلة ، وتخرج عليهم أجيال .

٥ - ان هؤلاء القراء كانوا جميعا من العلم والورع والاستقامة والخلق بالمكان الاسمي .

٦ - يلاحظ أن بعض القراء تلقى روايتهم القراءة عنهم مباشرة وبعضهم تلقى الرواة المذكورون القراءة عنهم بالواسطة .

وهذا والله أعلى وأعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم المحكم والمتشابه)

نستطيع بحول الله تعالى أن نقول : ان القرآن كله محكم ، وذلك ان أردنا بأحكامه اتقانه وجمال نظمه بحيث لا يتطرق اليه الضعف في الفاظه ومعانيه ، وعلى هذا المعنى أنزل الله قوله الكريم : د كتاب أحكمت آياته ١ ، كما نستطيع أن نقول : ان القرآن كله متشابه ، وذلك ان أردنا بتشابهه تماثل آياته في البلاغة والاعجاز وصعوبة المفاضلة بين أجزائه ، وبهذا المعنى أنزل الله قوله الحكيم .

د الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني ٢ ، كما نستطيع أن نقول أيضا ان بعضه محكم وبعضه متشابه وفي ذلك يقول الله تعالى : د هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراستخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر

(١) سورة هود عليه السلام رقم : ١

(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

مورد الظمان في علوم القرآن

الا اولو الالباب ، ، .

من الواضح في هذه الآية أن المحكم يقابل المتشابه ؛ كما أن الراسخين في العلم يقابلون الذين في قلوبهم زيغ ، وقد حمل هذا التقابل العلماء على تعريف كل من المحكم والمتشابه فكثرت آراؤهم في هذا الموضوع وتعددت وجهات نظرهم ، ولكن آراهم ترجع في النهاية الى أن المحكم هو الذي يدل على معناه بوضوح لا لبس فيه و المتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجعة على معناه ، وقد أورد السبوطي في « الاتقان » [تعريفات عديدة لها فدخل في المحكم النص والظاهر أما النص فلانه اللفظ الذي وضع للغنى الراجح المتبادر الى الذهن . و يدخل في المتشابه المجمل والمؤول والمشكل ، لأن المجمل يحتاج الى تفصيل والمؤول لا يدل على معنى الا بعد التأويل ، والمشكل خفي الدلالة فيه لبس وابهام ووضوح الدلالة في المحكم يغنينا عن البحث عنه لأنه قراءتنا له كافية لفهامنا المراد منه ، ولكن خفاء المتشابه جدير أن يشغلنا بعض الوقت لكي نعرفه ثم نتجنبه فلا نتبعه كالذين في قلوبهم زيغ .

أن أكثر العلماء يذهبون الى أن المتشابه لا يعلم تاويله الا الله ؛ ويوجبون في الآية الوقف على لفظ الجلالة ، أما الراسخون في العلم فقد انتهى عنهم بتاويل القرآن الى أن قالوا : « آمنا به كل من عند ربنا ، ، .

لكن أبا الحسن الأشعري كان يرى أن الوقف في الآية على قوله

(١) سورة آل عمران رقم : ٧

تعالى « والراسخون في العلم ، فهم على ذلك يعلمون تاويل المتشابه وقد أوضح
هذا الرأي أبو إسحاق الشيرازي واتصر له فقال « ليس شيء استأثر الله تعالى
بعلمه ، بل وقف العلماء عليه لأن الله تعالى أورد هذا مدحا للعلماء : فلو كانوا
لا يعرفون معناه لشاركوا العامة ، وتوسط الراغب الأصفهاني^١ فقسم المتشابه
من حيث امكان الوقوف على معناه الى ثلاثة أضرب :
ضرب لا سبيل الى الوقوف عليه ، كوقت الساعة وخروج الدابة
ونحو ذلك .

وضرب للانسان أسباب الى معرفته كالألفاظ الغريبة والاحكام المغلفة .
وضرب متردد بين الأمرين . يختص به بعض الراسخين في العلم
ويخفى على من دونهم وهو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس :
« اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » ، وما لا يدع مجالا للشك - أن في
رأى الراغب قصدا واعتدالا فذات الله وحقائق صفاته لا يعلمها الا هو ،
وفي المعنى يقول في دعائه أنت كما أثبتت على نفسك ، لا أحصى ثناء عليك
« والعلم بالغيب بما استأثر الله به ، مصداقا للآية الكريمة : ، ان الله عنده
علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا
تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير^٢ ، ،

(١) الراغب الأصفهاني هو الحسين بن الفضل ، أبو القاسم ، أديب كبير ، أم

كتبه (مفردات القرآن) توفي سنة ٥٠٢

(٢) سورة لقمان رقم : ٣٤

مورد الظلمآن في علوم القرآن

ولقد رأينا في بحث فوائح السور كيف أحيطت هذه الحروف بجو من التورع عن تاويل حقائقها وعرفنا أن أراء العلماء فيها إنما كانت تدور حول حكمة وجودها لا حول كنه حقيقتها ففي خفاء مثل هذه الأمور وعجز الانسان عن الوصول اليها ما يقلل من غروره ويخفض من كبريائه ، ويحمله على أن يقول : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم^١ .

و الآيات المشكلة الواردة في صفات الله تعالى ، كقوله : الرحمن على العرش استوى ، هي من أهم ما يتعلق بهذا الضرب من المتشابه الذي لا سبيل لأحد من البشر الى الوقوف عليه وقد أفردنا ابن اللبان بكتاب سماه : رد المتشابهات ، الى الآيات المحكمات^٢ .

و ذكر الرازي الحكمة من متشابه الصفات فقال : « ان القرآن يشتمل على دعوة الخواص و العوام ، و طبائع العوام تنفر في أكثر الأمور عن ادراك الحقائق ، فمن سمع من العوام في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه ، ظن أن هذا عدم ونفى محض فيقع في التعطيل ، فكان الأنسب أن يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما تخيلوه وما توهموه ، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح ، فالقسم الأول

(١) سورة البقرة رقم ٣٢

(٢) ابن اللبان هو محمد بن أحمد عبد المؤمن الأسعردى شمس الدين مفسر من

أهل دمشق توفي سنة ٧٤٩ له تفسير مخطوط .

مورد الظمان في علوم القرآن

وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر - من باب المتشابه ، والقسم الثاني
وهو الذي يكشف عن الحق الصريح هو المحكم ، .
والعلماء في متشابه الصفات مذهبان :

الأول : مذهب السلف ، وهو الايمان بهذه المتشابهات و تفويض
معرفتها الى الله تعالى . سئل الامام مالك عن الاستواء فقال : الاستواء
معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، واظنك رجل سوء ، أخرجوه
عني ، .

الثاني : مذهب الخلف ، وهو حمل اللفظ الذي يستحيل ظاهره على
معنى يليق بذات الله . وينسب هذا المذهب الى امام الحرمين^١ ، و جماعة
من المتأخرين .

ولتوضيح المذهبين نذكر بعض الآيات القرآنية الواردة في متشابه
الصفات فمن ذلك : الرحمن على العرش استوى^٢ ، ، وجاء ربك والملك
صفا صفا^٣ ، ، و هو القاهر فوق عباده^٤ ، ، يا حسرتا على ما فرطت في

(١) امام الحرمين هو عبد الملك بن أبي عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني
الشافعي العراقي . ابو المعالي كان شيخ الامام الغزالي و من أعلم أصحاب
الشافعي توفي سنة ٤٤٨ هـ .

(٢) سورة طه رقم : ٥

(٣) سورة الفجر رقم : ٢٢

(٤) سورة الأنعام رقم : ٦١

مورد الظمان في علوم القرآن

جنب الله^١ ، .

٢ - وقد أخرج الدارمي عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ابن صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فارسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل ، ، و يبقى وجه ربك^٢ ، ، و لتصنع على عيني^٣ ، يد الله فوق أيديهم ، ، و يحذركم الله نفسه ، .

فالسلف ينزهون الله عن هذه الظواهر المستحيلة عليه ، و يؤمنون بها بالغيب كما ذكرها الله ، و يفوضون علم حقائقها اليه ، أما الخلف فيحملون الاستواء على العلو المعنوي بالتدوير من غير معاناة ، و مجيء الله على مجيء أمره^٤ ، و فوقيته المراد بها العلو من غير جهة . وقد قال فرعون - و انا فوقهم قاهرون ، .

و بما لا شك فيه أنه لم يرد العلو المكاني ، مكذا قال السيوطي

(١) سورة الزمر رقم : ٥٦

(٢) سورة الرحمن رقم : ٢٧

(٣) سورة طه رقم : ٣٩

(٤) سورة الفتح رقم : ١٠

(٥) سورة آل عمران رقم : ٢٨

(٦) وقد حكى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى تأويل الأمر في قوله تعالى

« أو يأتي ربك ، سورة الانعام آية رقم ١٥٨ قال : و هل هو الا أمره ؟

بدليل قوله « أو يأتي أمر ربك ، سورة النحل آية رقم ٣٣

في « الاتقان » ، « وجبه » ، في طاعته وحقه لأن التفريط إنما يقع في ذلك ولا يقع في الجنب المهود ، ووجهه على ذاته ، وعينه « على عنايته ويده على قدرته ونفسه على عقوبته » ، ومكذا يقول الخلف - على هذا المنوال - جميع ما ورد من رضى الله وجهه وغضبه وسخطه وحياته يحملها على أقرب مجاز ، ويقولون لا يراد من هذه الألفاظ إلا لازمها .

وقد فهم ابن اللبان في كتابه « رد المتشابهات » ، الحكمة من ورود هذه الآيات فقال : « من المعلوم أن أفعال العباد لا بد فيها من توسط الجوارح مع أنها منسوبة إليه تعالى ، وبذلك يعلم أن لصفاته تعالى في تجلياتها مظهرين :

مظهر عبادى منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانية ، ومظهر حقيقى منسوب إليه ؛ وقد أجرى عليه أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده على سبيل التقريب لفهامهم ، والتأنيس لقلوبهم ، ولقد نبه في كتابه على القسمين وأنه منزه عن الجوارح في الحالين ، فنبه على الأول بقوله « قاتلهم يعذبهم الله بأيديكم » ، فهذا يفهم أن كل ما يظهر على أيدي العباد فهو منسوب إليه تعالى ، ونبه على الثانى بقوله فيما أخبر عنه نبيه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم ، « لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه » ، فإذا أحبته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، الخ . الحديث .

وقد حقق الله ذلك لنبيه بقوله « ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله

وبقوله « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » .

وكأنى بآبن اللبان هنا يستشعر - بذوقه الأدبي الرفيع - ما في الكتابة عن الحقائق الدينية الكبرى من الحسن والجمال فهذا الأسلوب الرمزي ترسم في الخيال الانساني صورة حسية عن الفكرة المجردة ، و تقرب الى الناس في جميع الاجيال أسمى الحقائق بواسطة الخيال .

ولعل اشتغال القرآن على المتشابه وعدم اقتصاره على المحكم وحده أن يكون حافزا للمؤمنين على الاشتغال بالعلوم الكثيرة التي تقدمهم على فهم الآيات المتشابهات فيتخلصون من ظلمة القيد ؛ و يقرؤون القرآن متدبرين خاشعين .

فوائد المتشابه

قد يرد سؤال هو : ما الحكمة في انزال المتشابه و وجوده ؟ والجواب على ذلك أن فوائد المتشابه تختلف بالنسبة الى ما يمكن علمه و الى ما لا يمكن علمه .

أولا : فوائد المتشابه الذي يمكن علمه عديدة نذكر منها أربعة هي :

- ١ - حث العلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه .
- ٢ - ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات اذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج الى تاويل لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره .
- ٣ - الحصول على الثواب الأكبر ؛ وذلك لأن المتشابه يوجب مزيد المشقة

مورد الظمان في علوم القرآن

في الوصول الى المراد ، و زيادة المشقة توجب مزيد الثواب .
 ٤ - تحصل العلوم الكثيرة ، و ذلك لان المتشابه يوجب فهمه التعمق في
 معرفة النحو و المعاني وغيرها و الوقوف على أساليب العرب و العلوم
 الاخرى .

ثانيا : فوائد المتشابه الذي لا يمكن عليه :

- ١ - ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، و التوقف فيه ، و التفويض و التسليم
 و التعبد بالاشتغال من جهة التلاوة كالمسوخ و ان لم يحجز العمل بما فيه
- ٢ - اقامة الحجة على العرب البلغاء الاتيها لان القرآن نزل بلسانهم ولقنهم
 ومع ذلك فقد عجزوا عن الوقوف على معناه .

(تنبيه)

هذا هو المحكم والمتشابه . ونود أن نشير الى ان هاتين الكلمتين
 وردتا في القرآن بمعان أخرى .
 وذلك مثل قوله تعالى [كتاب أحكمت آياته^١] أى فى النظم والوصف .
 و مثل قوله تعالى [كتابا متشابها^٢] أى يشبه بعضه بعضا و يصدق
 بعضه بعضا ، انتهى بتصرف .

(١) سورة هود رقم : ١

(٢) سورة الزمر رقم : ٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

(العام والخاص)

العام : هو - لفظ يستغرق الصالح من غير حصر : والقرآن الذى نزل بلسان عربى مبين ؛ يعبر عن العام بالألفاظ التى وضعها العرب لافادة الشمول والاستغراق . وقد دل الاستقراء على أن ألفاظ العموم سبعة لا تخرج عنها ، واليك بيانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :
أولا : لفظ كل ، وجميع ، وكافة ، وما فى معناها نحو : كل من عليها فان^١ ، وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا^٢ ، ادخلوا فى السلم كافة^٣ .

ثانيا : أسماء الموصول افرادا وثنية وجمعا ، وتذكيرا وتانيثا نحو : والذى قال لوالديه أف لكما ، فان المراد به كل من صدر منه القول بدليل قوله بعد : أولئك الذين حق عليهم القول ، .

(١) سورة الرحمن رقم : ٢٦

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٠٨

(٤) سورة الاحقاف رقم : ١٧

مورد الظمان في علوم القرآن

- « واللذان يأتيانها منكم فآذوهما » ، « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ،
« واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم » ، .
ثالثا : المعرف بآل تعريف الجنس مفردا كان نحو « و السارق و السارقة
فاقطعوا أيديهما » ، أو جمعا نحو « قد أفلح المؤمنون » ، .
رابعا : الجمع المعرف بالاضافة نحو « يوصيكم الله في أولادكم » ، « خذ من
أموالهم صدقة » ، .
خامسا : أسماء الشرط ، نحو « ومن يفعل ذلك يلق أثاما » ، .
سادسا : النكرة في سياق النفي ؛ نحو « و ان من شيء الا عندنا خزائنه » .
سابعا : النكرة في سياق الشرط ، نحو « و ان أحد من المشركين استجارك
فأجره حتى يسمع كلام الله » .

-
- (١) سورة النساء رقم : ١٦
 - (٢) سورة يونس رقم : ٢٦
 - (٣) سورة النساء رقم : ١٥
 - (٤) سورة المائدة رقم : ٣٨
 - (٥) سورة المؤمنون رقم : ١
 - (٦) سورة النساء رقم ١١
 - (٧) سورة التوبة رقم ١٠٣
 - (٨) سورة الفرقان رقم : ٦٨
 - (٩) سورة الحجر رقم : ٢١

(أقسام العام)

يتقسم العام الى ثلاثة أقسام :

الأول :

العام الباقي على عمومه . قال القاضي جلال الدين البلقيني : ومثاله عزيز ، اذ ما من عام الا و يتخيل فيه التخصيص ، فقوله - يا أيها الناس اتقوا ربكم ، قد يخص منه غير المكلف ، وحرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطرار ومنه السمك والجراد ، وحرم الربا خص منه العرايا . وذكر الزركشي في البرهان انه كثير في القرآن وأورد منه - والله بكل شئ عليم ، ان الله لا يظلم الناس شيئا : - ولا يظلم ربك أحدا ، الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، الله الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ، الله الذي جعل لكم الارض قرارا ، .

وحاول السيوطي أن يستنبط من القرآن مثالا على ذلك فوجده في الآية - حرمت عليكم إمهاتكم ، فانه لا خصوص فيها والعموم مقصود في جميع المحارم المذكور في الآية ، ولم يكن الأمر محوجا الى هذا الجهد وذلك العناء فالعام الباقي على عمومه موجود في القرآن بكثرة كما وضع لنا من الأمثلة المذكور آنفا ، ولكنه قليل بالنسبة الى العام المراد به الخصوص .

= (١٠) سورة التوبة رقم : ٦

(١) سورة النساء رقم : ٢٢

مورد الظمان في علوم القرآن

الثاني : العام المراد به الخصوص :

وهو - ما يكون فيه الانتقال من العموم لغرض بلاغى يزيد التعبير جمالا ، والفكرة وضوحا كقوله تعالى « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله^١ » فالمقصود بالناس هنا انسان واحد وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه جمع ولم يفرد لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة ولأنه المثل الأعلى للإنسانية . وقوله « ثم افيضوا من حيث أفاض الناس^٢ » ، أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله - من حيث أفاض الناس - قال ابراهيم : قال في المحتسب يعنى آدم لقوله - فنى ولم نجد له عزما - وقوله تعالى - فنادته الملائكة^٣ أى جبريل الى غير ذلك من الأمثلة .

الثالث :

العام المخصوص وأمثله في القرآن كثيرة جدا وهى أكثر من المنسوخ ومن أمثله « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ، وقوله « ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله^٤ » .

(١) سورة النساء رقم : ٥٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٩٩

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٩

(٤) سورة آل عمران رقم : ٩٧

(٥) سورة التوبة رقم : ١٢٠

مورد الظمان في علوم القرآن

الفرق بين العام المراد به الخصوص ؛ والعام المخصوص
وذكر العلماء بينهما فروقا خمسة :

أحدهما :

أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد ، لا من جهة تناول اللفظ
ولا من جهة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل في فرد منها . والثاني أريد
عمومه وشموله لجميع الأفراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم .
ثانيها :

أن الأول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضعه الأصلي بخلاف الثاني
فإن فيه مذاهب : أصلها أنه حقيقة .
ثالثها :

أن قرينة الأول عقلية ، والثاني لفظية .

رابعها :

أن قرينة الأول لا تنفك عنه بحال من الأحوال ، وقرينة الثاني
قد تنفك عنه .
خامسها :

أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقا ، وفي الثاني خلاف .

(أقسام المخصص)

ينقسم المخصص بالنسبة للمخصص له الى متصل ومتصل فالتصل

مورد الظمان في علوم القرآن

حمسة أنواع واليك بيانها مع التمثيل من واقع النصوص القرآنية :

١ - الاستثناء نحو - « و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا » .

٢ - الوصف نحو - « وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن » .

٣ - الشرط نحو - « و الذين يتغنون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا » .

٤ - الغاية نحو - « ولا تخلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله » .

٥ - بدل البعض نحو - « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ،
والمفصل :

هو ما كان في آية أخرى في محل آخر ، أو حديث أو إجماع أو قياس
فن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى « و المطلقات يترصدن بأنفسهن ثلاثة

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة النساء رقم : ٢٣

(٣) سورة النور رقم : ٣٣

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٦

(٥) سورة آل عمران رقم : ٩٧

مورد الظمان في علوم القرآن

قروا^١ ، خص بقوله « اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة^٢ » ، ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى - ز ، .
« وأحل الله البيع^٣ » ، خص منه اليوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة ، و حرم الربا - خص منه العرايا بالسنة .

ومن أمثلة ما خص بالاجماع آية المواريث خص منها الرقيق فلا يرث بالاجماع ذكره مكي ، ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا - « فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة^٤ » ، خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة في قوله - « فليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » ، المخصص لعموم الآية ، ذكره مكي ايضا .

(فصل)

من خاص بالقرآن ما كان مخصصا لعموم السنة وهو عزيز ومن أمثله قوله تعالى « حتى يعطوا الجزية^٥ » ، خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » ، وقوله « ومن أصوافها

(١) سورة البقرة رقم : ٢٢٨

(٢) سورة الاحزاب رقم : ٤٩

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

(٤) سورة النور رقم : ٢

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

مورد الظمان في علوم القرآن

و أوبارها ، خص عموم قوله صلى الله عليه وسلم ، وما أئين من حى
فهو ميت ، .

و قوله تعالى ز ، و العاملين عليها و المؤلفة قلوبهم^٢ ، خص عموم
قوله عليه السلام ، لا تحل الصدقة لغنى و لا لذى مرة سوى ، و قوله تعالى
، فقاتلوا التى تبغى^٣ ، خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام ، اذا التقى
المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول فى النار ، .

تفريع

الأول :

اذا سيق العام للمدح أو الذم فهل هو باق على عمومه ؟ فيه مذاهب
أحدها : أنه باق على عمومه ، اذ لا صارف عنه و لا تنافى بين العموم
وبين المدح أو الذم .

والثانى :

أنه ليس باق على عمومه لأنه لم يسق للتعميم بل للمدح أو الذم .

والثالث :

وهو الأصح . التفصيل فيعم ان لم يعارضه عام اخر لم يسق لذلك

(١) سورة النحل رقم : ٨٠

(٢) سورة التوبة رقم : ٦٠

(٣) سورة الحجرات رقم : ٩

ولا يعم ان عارضه ذلك جمعا بينهما مثاله ولا معارض قوله تعالى « ان الأبرار لنى نعيم و ان الفجار لنى جحيم » ، ومع المعارض قوله تعالى « والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » ، فانه سبق للذبح ، وظاهره يعم الاختين بملك اليمين جمعا ؛ و عارضه فى ذلك « وأن تجمعوا بين الاختين » ، فانه شامل لجمعها بملك اليمين و لم يسبق للذبح فحمل الأول على غير ذلك بان لم يرد تناوله له . ومثاله فى الذم « والذين يكنزون الذهب والفضة » ، فانه سبق للذم وظاهره يعم الحلى المباح ؛ وعارضه فى ذلك حديث جابر « ليس فى الحلى زكاة » ، وحمل الأول على غير ذلك .

الثانى :

اختلف فى الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم نحو « يا أيها النبىء » ، « يا أيها الرسول » ، هل يشمل الأمة ؟ فقيل يشملها لأن أمر القدوة أمر لاتباعه معه عرفا ، والأصح فى الأصول المنع لاختصاص الصيغة .

والثالث :

اختلف فى الخطاب يا أيها الناس ، هل يشمل الرسول صلى الله عليه

(١) سورة الانفطار رقم : ١٣ - ١٤

(٢) سورة المؤمنون رقم : ٥ - ٦

(٣) سورة النساء رقم : ٢٣

(٤) سورة التوبة رقم : ٣٤

وسلم ؟ .

على مذاهب أصحابها وعليه الآكثرون أنه يشمله لعموم الصيغة له . أخرج ابن أبي حاتم عن الزمري قال : إذا قال الله يا أيها الذين آمنوا افعلوا ، فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم ، والثاني لا لأنه ورد في لسانه لتبليغ غيره ولما له من الخصائص ، والثالث أن اقترن بقل لم يشمله لظهوره في التبليغ وذلك قرينة عدم شموله والا فيشملة ، الرابع : الأصح في الأصول أن الخطاب يا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ ، وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ، ولا العبد لصرف منافعه إلى سيده شرعا ، الخامس : اختلف في الخطاب يا أهل الكتاب هل يشمل المؤمنين ؟ فالأصح أنه لا يشملهم لأن اللفظ قاصر على من ذكر ، واختلف في الخطاب يا أيها الذين آمنوا هل يشمل أهل الكتاب ؟ قيل لا - بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع وقيل يشملهم واختاره ابن السمعاني قال : وقوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشریف لا تخصيص .

اتهى بتصرف

بسم الله الرحمن الرحيم

(علم الناسخ و المنسوخ)

النسخ لغة : يأتي على معان عديدة .

[١] يأتي بمعنى الازالة ومنه قوله تعالى « فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم

يحكم الله آياته » ، ومنه نسخت الشمس الظل ، ونسخ الشيب الشباب

[٢] و يأتي بمعنى التبديل كقوله « واذا بدلنا آية مكان آية » ، .

[٣] و بمعنى التحويل - كتناسخ المواريث ، لأن تناسخ المواريث ، هو تحويل

الميراث من واحد الى واحد .

[٤] و يأتي بمعنى النقل من موضع الى موضع ، ومنه « نسخت الكتاب » ، اذا

نقلت ما فيه حاكيا للفظه و خطه . قال مكي : وهذا الوجه لا يصح

أن يكون في القرآن ، و أنكر على النحاس اجازته ذلك ، محتجا بان

الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ ، و انما يأتي بلفظ آخر . وقال الامام

أبو عبد الله محمد بن بركات السعدي : يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى

(١) سورة الحج رقم : ٥٢

(٢) سورة النحل رقم : ١٠١

« انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون^١ ، وقال : [وانه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم^٢] و معلوم أن ما نزل من الوحي نجوما جميعه في أم
الكتاب و هو اللوح المحفوظ كما قال : [في كتاب مكنون . لا يسه
الا المطهرون^٣] .

النسخ اصطلاحاً : « رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى ، وهذا أدق
تحديد اصطلاحى لهذه اللفظة يتناسق فى آن واحد مع لسان العرب الذى
يرى النسخ ازالة ورفعا أفردہ بالتصنيف خلق لا يحصون عددا منهم أبو عبيد
القاسم بن سلام و أبو داود السجستانى و أبو جعفر النحاس و ابن الأبارى
وغيرهم . و من ظريف ما حكى فى كتاب مبة الله أنه قال فى قوله تعالى :
« ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » ، منسوخ من هذه الجملة
[وأسيرا] والمراد بذلك أسير المشركين فقرأى الكتاب عليه وابنته تسمع ، فلما
اتهى الى هذا الموضع قالت : أخطأت يا أبت فى هذا الكتاب . فقال لها
وكيف يا بنية ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم و لا يقتل جوعا
قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعد أن يعرف منه

(١) سورة الجاثية رقم : ٢٩

(٢) سورة الزخرف رقم : ٤

(٣) سورة الواقعة رقم : ٧٨ - ٧٩

(٤) سورة الانسان رقم : ٨

الناسخ و المنسوخ ، وقد قال علي بن أبي طالب لقاص : أتعرف الناسخ و المنسوخ ؟ قال الله أعلم ، قال ملكك وأملكك . ، والنسخ بما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير ، وقد أجمع المسلمون على جوازه و وقوعه سما وعقلا و أنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يبدو ، و هو باطل لأنه يان مدة الحكم كالأحياء بعد الاماتة وعكسه ، والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه ، وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهى . واختلف العلماء فقيل : لا ينسخ القرآن الا بقرآن كقوله تعالى ز د ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ، قالوا : ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه الا قرآن . وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضا من عند الله قال تعالى د و ما ينطق عن الهوى ، وجعل منه آية الوصية الآتية ، و قيل ان السنة اذا كانت بأمر الله من طريق الوحي نسخت ؛ و ان كانت باجتهاد فلا تنسخه حكاه ابن حبيب النيسابورى فى تفسيره . و قال الشافعى حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمنها قرآن عاضد لها ، وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فعنه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة ؛ الجمهور على أنه لا يقع النسخ الا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ و منه الوعد و الوعيد ، وقيل بل احدهما تنسخ الأخرى ثم اختلفوا فقيل : الآيتان اذا أوجبتا حكيمين مختلفين وكانت احدهما مقدمة على الأخرى ، فالمتأخرة ناسخة للأولى كقوله تعالى د ان ترك خيرا الوصية

مورد الظمان في علوم القرآن

لوالدين والأقربين^١ ، ثم قال بعد ذلك [ولأبويه لكل واحد منهما السدس^٢] وقال تعالى [فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث^٣ ، قالوا فهذه ناسخة للاولى ، ولا يجوز أن يكون لها الوصية والميراث .

وقيل : بل ذلك جائز ، وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، وإنما نسخ الوصية للوارث بقوله عليه الصلاة والسلام : « لا وصية لوارث » ، وقيل ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة .

ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخا ، وذلك كقوله : [لكم دينكم ولي دين^٤] نسخها بقوله تعالى : [فاقتلوا المشركين^٥] ثم نسخ هذه أيضا بقوله : [حتى يعطوا الجزية عن يده^٦] وقوله تعالى : [فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره^٧] ، وناسخة قوله تعالى : [فاقتلوا المشركين^٨] ؛ ثم نسخها : [حتى يعطوا الجزية^٩] .

(تنبيه-٤)

قال ابن الحصار : إنما يرجع في النسخ الى نقل صريح عن رسول الله

(١) سورة البقرة رقم : ١٨٠

(٢) سورة النساء رقم : ١١

(٣) سورة الكافرون رقم : ٦

(٤) سورة التوبة رقم : ٥

(٥) سورة التوبة رقم : ٢٩

(٦) سورة البقرة رقم : ١٠٩

صلى الله عليه وسلم أو عن صحابى يقول آية كذا نسخت كذا . قال :
وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم
من المتأخر . قال : ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين ؛ بل ولا اجتهاد
المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة ؛ لأن النسخ يتضمن رفع
حكم أو إثبات حكم تقرر فى عهده صلى الله عليه وسلم ، والمعتمد فيه النقل
والتاريخ دون الرأى والاجتهاد قال : والناس فى هذا بين طرفى تقيض فمن
قائل لا يقبل فى النسخ أخبار الآحاد العدول ، ومن متساهل يكتفى فيه بقول
مفسر أو مجتهد ، والصواب خلاف قولهما . انتهى .

تنبيهات

القنية الأولى :

[فى تقسيم سورة القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله]
اعلم أن سورة القرآن الكريم [تنقسم] بحسب ما دخله النسخ
وما لم يدخله الى أقسام :

أحداها ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ ، وهى ثلاث وأربعون
سورة فقط وهذه السور تنقسم الى ما ليس فيه أمر ولا نهى وإلى ما فيه
نهى لا أمر .

والثانى :

ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ ، وهى ست سور .

الثالث :

ما فى منسوخ و ليس فى ناسخ ، و هو أربعون سورة .

الرابع :

ما اجتمع فى الناسخ و المنسوخ ، و هى احدى و ثلاثون سورة .
و من غريب هذا النوع آية أولها منسوخ و آخرها ناسخ ، قيل و لا نظير لها
فى القرآن ، و هى قوله تعالى : [يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من ضل اذا امتدديتم] ، يعنى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، فهذا
ناسخ لقوله : [عليكم أنفسكم] ذكره ابن العربى فى أحكامه .

و لا يعنينا أبدا أن نسرّد أسماء السور فى هذه الأقسام فان سردها
نفسها قائم على أساس فاسد من الغلو و التعسف ، و حسبك أن السور
المحكمات الخاليات من النسخ لم تزد - فى هذا التقسيم - على ثلاث و أربعين
سورة كأن القاعدة هى النسخ لا الأحكام ، و كان الأصل فى سور القرآن
أن يكون فيها ناسخ أو منسوخ .

و الحق أن الأصل فى آيات القرآن كلها الأحكام لا النسخ الا
أن يقوم دليل صريح على النسخ فلا مفر من الأخذ به و ما زال العلماء
المحققون بالآيات التى قيل انها منسوخة يبحثونها من وجوها مختلفة حتى
حصروا ما تصلح منها لدعوى النسخ فى عدد قليل ؛ و تعقب آخرون هذا

(١) سورة المائدة رقم : ١٠٥

القليل نفسه فأثروا في طائفة منه القول بالاحكام على القول بالنسخ : فالسيوطي مثلا حصر دعوى النسخ في احدى وعشرين آية على خلاف في بعضها ثم استثنى آيتي الاستئذان^٢ والقسمة فذكر أن الاصح فيها أنها محكمتان فصارت الآيات المنسوخة في نظره لا تزيد على تسع عشرة آية ، ولولا خشية الاستطراد لتعاقبتاها فوجدنا الصالح منها للنسخ لا يزيد على عشر فقط يد أننا نفضل أن نحيل الطالب على ما ذكره السيوطي لعله يكتشف من تلقاء نفسه - في ضوء ما ذكرنا عن النسخ - ما عسى أن يكون أقرب الى التخصيص أو تأخير البيان أو الانسواء ، وما عسى أن يدخل حقا فيما نسخه الله من آيات فاتى باحسن منها أو مثلها وهو على كل شيء قدير .

التنبيه الثاني

[في القسم الثاني في ضروب النسخ في القرآن]

النسخ في القرآن على ثلاثة أضرب :

(١) راجع الاتقان ٣٧/٢ - ٣٨ و قد ذكر السيوطي هنا جميع هذه الآيات الصالحة للقول بالنسخ .

(٢) يراد بآية الاستئذان قوله تعالى : ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم و الذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، وهي آية لا ريب في احكامها .

أما آية القسمة فهو قوله تعالى (و اذا حضر القسمة أولو القربى و اليتامى و المساكين فارزقوهم منه و قولوا لهم قولا معروفا) فقد قبل انها منسوخة بآية المواريث ، و الصحيح أنها ليست منسوخة .

مورد الظمان في علوم القرآن

الأول :

ما نسخ تلاوته وبقي حكمه فيعمل به اذا تلقته الامة بالقبول ، كما روى أنه يقال في سورة النور ، الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ، ولهذا قال عمر : لولا أن يقول الناس : زاد عمر في كتاب الله لكتبتها يدي . رواه البخاري في صحيحه معلقا .

الضرب الثاني :

ما نسخ حكمه وبقي تلاوته ، وهو في ثلاث وستين سورة ، كقوله تعالى : [والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا^١] فكانت المرأة اذا مات زوجها لزمت التريص بعد انقضاء العدة حولا كاملا ؛ ونفقتها في مال الزوج ، ولا ميراث لها ؛ وهذا معنى قوله تعالى : [متاعا الى الحول غير اخراج^٢] فنسخ الله ذلك بقوله : [يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا^٣] وهذا النسخ مقدم في النظم على المنسوخ .

قال القاضي أبو المعالي : وليس في القرآن ناسخ تقدم على المنسوخ الا في موضعين ؛ هذا أحدهما ، والثاني قوله : [يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك^٤] ، فانها ناسخة لقوله تعالى : [لا تحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل

(١) سورة البقرة رقم : ٢٣٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٤٠

(٣) سورة الاحزاب رقم : ٥٠

بهن من أزواج] .

الثالث :

نسخها جميعا ، فلا تجوز قراءته ولا العمل به ، كآية التحريم بعشر
رضعات فنسخن بخمس ، قالت عائشة : كان مما أنزل عشر رضعات معلومات ،
فنسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مما يقرأ
من القرآن . رواه مسلم .

وقد تكلموا في قولها : « وهي مما يقرأ » ، فان ظاهره بقاء التلاوة
وليس كذلك فنتهم من اجاب بأن المراد قارب الوفاة ، والأظهر أن التلاوة
نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس الا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فتوفي وبعض الناس يقرؤها .

وقال أبو موسى الأشعري : نزلت ثم رفعت .

(التنبيه الثالث)

« في تقسيم القرآن على ضروب من وجه آخر ،

قسم بعضهم النسخ من وجه آخر الى ثلاثة أضرب :

الأول :

نسخ المأمور به قبل أمثاله ، وهذا الضرب هو النسخ على الحقيقة ،
كأمر الخليل بذبح ولده ، وكقوله تعالى : [اذا ناجيتم الرسول فقدموا

(١) سورة الاحزاب رقم : ٥٢

بين يدي نجواكم صدقة^١] ثم نسخه سبحانه بقوله تعالى : [أشفقتم^١ ... الآية]
الثاني :

و يسمى نسخا تجوزا ؛ و هو ما أوجب الله على من قبلنا كحتم القصاص
[يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتل^٢ الآية^١] .

ولذلك قال عقب تشريع الدية : [ذلك تخفيف من ربكم ورحمة^٣]
وكذلك ما أمرنا الله به أمرا اجماليا ثم نسخه كنسخه التوجه الى بيت الله
المقدس بالكعبة ؛ فان ذلك كان واجبا علينا من قضية امره باتباع الانبياء
قبله ، وكنسخ صوم يوم عاشوراء برمضان .

الثالث :

ما أمر به لسبب ثم يزول السبب ، كالأمر حين الضعف والقلة
بالصبر والمغفرة للذين يرجون لقاء الله ونحو من عدم ايجاب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر والجهاد ونحوهما ؛ ثم نسخه ايجاب ذلك وهذا ليس بنسخ
في الحقيقة و إنما هو نسء كما قال تعالى : [أو أنسها] .

فالنسأ هو الأمر بالقتال ، الى أن يقوى المسلمون ، و في حال
الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى .

(١) سورة المجادلة رقم : ١٢ - ١٣

(٢) سورة البقرة رقم : ١٧٨

(٣) سورة البقرة رقم : ٧٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٠٦

ومن هذا قوله تعالى : [يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم] كان ذلك في ابتداء الأمر ، فلما قوى الحال وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمقاتلة عليه ثم لو فرض وقوع الضعف كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، عاد الحكم ، وقال صلى الله عليه وسلم : د فاذا رأيت هوى متبعا وشحا مطاعا واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك .

و هو سبحانه و تعالى حكيم أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حين ضعفه ما يليق بتلك الحال رافة بمن تبعه ورحمة ، اذ لو وجب لأورث حرجا ومشقة فلما أعز الله الاسلام وأظهره ونصره ، أنزل عليه من الخطاب ما يكافئ تلك الحالة من مطالبة الكفار بالاسلام أو باداء الدية ان كانوا أهل كتاب - أو الاسلام أو القتل ان لم يكونوا أهل كتاب .

ويعود هذان الحكمان - أعنى المسألة عند الضعف والمسايقة عند القوة - يعود سيئهما ، وليس حكم المسايقة ناسخا لحكم المسألة بل كل منهما يجب امتثاله في وقته . انتهى بتصرف .

حكمة النسخ وفوائده

- ١ - مراعاة مصالح العباد .
- ١ - تطور التشريع إلى مرتبة الكمال حسب تطور الدعوة وتطور حال الناس .
- ٢ - ابتلاء المكلف واختباره بالامتثال وعدمه .
- ٤ - إرادة الخير للامة والتيسير عليها ؛ لأن النسخ إن كان إلى أشق فقه زيادة الثواب ؛ وإن كان إلى أخف فقه سهولة ويسر .

مورد الظمان في علوم القرآن

فوائد معرفة المكي والمدني

- ١ - معرفة الناسخ والمنسوخ على وجه يحدد الحكم الباقي الواجب اتباعه .
- ٢ - معرفة طريقة القرآن التي ملكها في تنشئة الأمة الاسلامية وتربيتها والخطوات التي خطاها في اقامة الدولة الاسلامية حتى يكون في ذلك عبرة لدعاة الاصلاح . وقادة الفكر الاسلامي الذين يتطلعون الى استئناف الحياة الاسلامية من جديد .
- ٣ - التعرف على مدى الخدمة الفائقة والعناية البالغة التي حظى بها القرآن الكريم من المسلمين من عهد الصحابة حتى يومنا هذا .
- ٤ - أخيرا فإنا نستفيد من معرفتنا للمكي والمدني من القرآن في فهم الآية وتفسيرها على وجه أفضل وأكمل ، ولا سيما ان وقفنا مع ذلك على أسباب النزول .

هذا والله أعلى وأعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المطلق و المقيد)

المطلق الدال على المامية بلا قيد ، وهو مع القيد كالعام مع الخاص .
قال العلماء : متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه والا فلا ، بل يبقى المطلق
على اطلاقه والمقيد على تقييده ، لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب . والضابط
ان الله تعالى اذا حكم فى شىء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر :
فان لم يكن له أصل يرد اليه الا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به ، وان كان
له أصل يرد غيره لم يكن رده الى أحدهما باولى من الآخر .

فالأول مثل اشتراط الله العدالة فى الشهود على الرجعة والفراق
والوصية فى قوله تعالى [واشهدوا ذوى عدل منكم] - وقوله - شهادة بينكم
اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم .

وقد اطلق الشهادة فى البيوع وغيرها فى قوله - وأشهدوا اذا تبايعتم
فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم - و العدالة شرط فى الجميع و منه
تقييد ميراث الزوجين بقوله تعالى : [من بعد وصية يوصين بها أو دين] [

(١) سورة النساء رقم : ١٢

مورد الظمان في علوم القرآن

واطلاقه الميراث فيها أطلق فيه ، وكذلك ما أطلق من الموارث كلها بعد الوصية والدين وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة ، واطلاقها في كفارة الظهار واليمين ، والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة . وكذلك تقيد الأيدي الى المرافق في الوضوء ، واطلاقه في التيمم .

وكذلك : [و من يكفر بالإيمان فقد حبط عمله^١] فاطلق الاحباط عليه وعلقه بنفس الردة ، ولم يشترط الموافاة عليه . وقال في الآية الأخرى . [و من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم^٢] وقيدت الردة بالموت عليها والموافاة على الكفر ، فوجب رد الآية المطلقة اليها والا يقضى باحباط الأعمال الا بشرط الموافاة عليها وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، و تقيد تحريم الدم بالمسفوح في الأنعام واطلاقه فيما عدا ما فذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع و من العلماء من لا يحمله ، ويجوز اعتناق الكافر في كفارة الظهار واليمين ويكتفى في التيمم بالمسح الى الكوعين ، ويقول : ان الردة تحبط العمل بمجرد ما .

والثاني مثل تقيد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار ، و تقيدته بالتفريق في صوم التمتع ، واطلاق كفارة اليمين وقضاء رمضان ، فيبقى على اطلاقه من جوازه مفرقا ومتابعا لا يمكن حمله عليها لتنافي القيدين ، وهما التفريق والتتابع ، وعلى أحدهما لعدم المرجح .

(١) سورة المائدة رقم : ٥

(٢) سورة البقرة رقم : ٢١٧

مورد الظمان في علوم القرآن

(تنبيهات)

الأول :

إذا قلنا : يحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس ؟
مذهبان . وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الاطلاق إكتفاءً بالقيد
و طلباً للاختصار .

الثاني :

ما تقدم محله إذا كان الحكمان بمعنى واحد . وإنما اختلفا في الاطلاق
و التقييد ، فاما إذا حكم في شيء بأمور ثم في آخر بعضها وسكت فيه عن
بعضها فلا يقتضى اللاحق كالامر بغسل الأعضاء الأربعة في الوضوء وذكر
في التيمم عضوين ، فلا يقال بالحمل ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه
أيضاً ، وكذلك ذكر العتق والصوم و الاطعام في كفارة الظهار ، و اقتصر
في كفارة القتل على الأولين و لم يذكر الاطعام فلا يقال بالحمل و ابدال الصيام
بالطعام .

اتهى بتصرف .

بسم الله الرحمن الرحيم

(المنطوق والمفهوم)

« القرآن يفسر بعضه بعضا ، وهذا أحسن طرق التفسير واليه ذهب الزركشى فى البرهان .

يردد المفسرون هذه العبارة كلها وجدوا أنفسهم أمام آية قرآنية تزاد دلالتها وضوحا بمقارنتها بآية أخرى . وان لهم أن ينهجوا فى تأويل القرآن هذا المنهج ، لأن دلالة القرآن تمتاز بالدقة والاحاطة والشمول ، قلنا نجد فيه عاما أو مطلقا أو مجملا ينبغى أن يخصص أو يقيد أو يفصل الا تم له فى موضع آخر ما ينبغى له من تخصيص أو تقييد أو تفصيل .

ولقد كانت هذه الدلالة الشاملة جذيرة أن توحى الى العلماء وضع اصطلاحات خاصة يرمز بكل منها الى السمة البارزة فى كل فكرة يدعو اليها القرآن ، وفى كل مشهد يصوره ، ومن هنا نشأ فى الدراسات الاسلامية ، ما يسمى بمنطوق القرآن ومفهومه ، وعامه وخاصه ؛ ومطلقه ومقيده ، ومجمله ومفصله ، وقد عرفت هذه المصطلحات وأمثالها واستعرضت الشواهد الكثيرة الدالة عليها ، وتباينت مناهج العلماء فى دراستها فمنهم من يبحثها على أساس

مورد الظمان في علوم القرآن

تشريعي وهم الأصوليون ؛ ومنهم من يبحثها على أساس منطقي وهم المتكلمون ، وآخرون - يؤثرون أن ينظروا الى هذه المصطلحات من خلال الزاوية اللغوية والأدبية ، ليتبعوا بلذة وشغف طريقة القرآن في الأداء والتعبير .

و أول ما ينبغي معرفته من هذه المصطلحات منطوق القرآن ومفهومه لأنها يفصلان أنواع الدلالة القرآنية المستفادة من اللفظ والمستنبطة من المعنى فيشملان النص والظاهر والمؤول ، وفحوى الخطاب ولحنه و معاني الوصف والشرط والحصر وسنوضح بمشيئة الله تعالى هذه المسألة ، بنماذج ، مختلفة نجمعها بما تفرق في كتاب الله الحكيم .

المنطوق :

هو - ما دل عليه اللفظ في محل النطق وكانهم لاحظوا في تعريفه أن التلغظ بالآية هو وحده منفذنا الى دلالتها وذلك واضح جدا في النص ، الذي لا يحتمل اللفظ غيره كدلالة قوله تعالى : فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، .

فلا يمكن أن يتحمل اللفظ غير كمال الأيام العشرة التي صرحت بها الآية ونصت عليها . وحتى ما يسمى ، بالظاهر ، الذي يفيد المعنى متبادرا مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا ؛ وهو نوع من المنطوق ، لأن دلالاته على معناه المتبادر الراجح إنما تتم في محل النطق نفسه ، لأن الراجح من

(١) سورة البقرة رقم : ١٩٦

اللفظ المنطوق يقدم على مرجوحه ، يوضح ذلك قوله تعالى : فن اضطر
غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه^١ ، فالباغى يطلق على معنيين أحدهما مرجوح
و هو الجامل والثاني راجح و هو الظالم ، لأنه هو الظاهر المتبادر من سياق
الآية واستعماله في هذا المعنى أظهر وأغلب ، كقوله تعالى : ثم بنى عليه
لينصرنه الله^٢ . . . وقوله [ولا تقربوه من حتى يطهرن^٣] فيقال للانقطاع طهر ،
و للوضوء والغسل غير أن الثاني أظهر . و « المؤول » الذي يستحيل حمله
على ظاهره فيصرف الى معنى آخر يعينه السياق هو كذلك نوع من أنواع
المنطوق ؛ لأن ظاهرة المستحيل مرجوح ، و معناه الذي يعينه السياق راجح
يكاد اللفظ نفسه ينطق به و ينبي عنه ، من ذلك قوله تعالى : و هو معكم
أينما كنتم ، فان حمل المعية على قرب الله بذاته مستحيل فتعين صرفه عن
ذلك وحمله اما على الحفظ والرعاية أو على القدرة والعلم والرؤية ، كما قال
تعالى : و نحن أقرب اليه من جبل الوريد^٤ ، وكقوله تعالى : و اخفض
لها جناح الذل من الرحمة^٥ ، فانه يستحيل حمله على الظاهر ، لاستحالة

(١) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٢) سورة الحج رقم : ٦٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٢٢

(٤) سورة الحديد رقم : ٤

(٥) سورة ق رقم : ١٦

(٦) سورة الاسراء رقم : ٢٤

مورد الظمان في علوم القرآن

أن يكون آدمي له أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق . وكقوله تعالى :
« وكل انسان أئزماه طائرء فى عنقه^١ ، يستحيل أن يشء فى القيامة فى عنق
كل طائع وعاص وغيرهما طير من الطيور ، فوجب حمله على التزام الكتاب
فى الحساب لكل واحد منهم بعينه .

وقء يكون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله
عليها جميعاً كقوله تعالى : [لا يضار كاتب ولا شهيد^٢] فإنه يحتمل ولا يضار
الكاتب والشهيد صاحب الحق بحور فى الكتابة والشهادة . ولا يضار
بالفتح أى لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما مالا يلزمهما واجبارهما على
الكتابة والشهادة . سواء قلنا بمجاز استعمال اللفظ فى معنيه أو لا .

ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قء خوطب به مرتين ، مرة أريد
هذا ومرة أريد هذا . ثم ان توقفت صحة دلالة اللفظ على اضممار سميت
دلالة اقتضاء نحو [واسأل القرية] أى أهلها . وان لم توقف وءل اللفظ
على ما لم تقصد به سميت دلالة اشارة كدلالة قوله تعالى [أحل لكم ليلة
الصيام الرفء الى نسائكم] على صحة صوم من أصبح جنباً اء اباحة الجماع الى
طلوع الفجر تستلزم كونه جنباً فى جزء من النهار وقء حكى هذا الاستنباط
عن محمد بن كعب القرظى .

(١) سورة الاسراء رقم : ١٣

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٢٣

والمفهوم هو - ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ، وكأنهم لاحظوا في تعريفه أن المعنى الذهني هو المنفذ الوحيد الى دلالاته . وهو قسمان :

مفهوم موافقة اذا وافق المنطوق بحكمه ؛ ومفهوم مخالفة اذا لم يوافق به ولكل من هذين المفهومين فروع تتعلق به ، فمفهوم الموافقة اذا دل على المعنى الأولي بالأخذ والاعتبار سمي « فحوى الخطاب » كدلالة [فلا تقل لها أف] ، على تحريم ضرب الوالدين : لأنه أولى بالتحريم من قول أف لها ، واذا دل على المعنى المساوي سمي « لحن الخطاب » كدلالة « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً » ، على تحريم احراق أموال اليتامى أو اتلافها بأي نوع من أنواع التلف ، لأن الاتلاف هو المقصود بالتحريم ، سواء حصل بالأكل أم بالاحراق فكل منهما مساو للآخر .

و مفهوم المخالفة على أنواع أهمها : مفهوم وصفي ، ومفهوم شرطي ، ومفهوم حصري . يذكرون عادة من أنواع مفهوم المخالفة خمسة :

الصفة والشرط والغاية والعدد واللقب ، ولكننا اقتصرنا على أهمها ويتوسع في المفهوم الوصفي فلا يقتصر فيه على النعت ، بل يدخل فيه كل ما أفاد معنى الوصفية كالحال والظرف والعدد .

(١) سورة الاسراء رقم : ٢٢

(٢) سورة النساء رقم : ١٠

مثال النعت : ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيروا قوماً بجهالة^١ ، مفهومه أن غير الفاسق لا يجب التبين في خبره فإذا جاءنا من نعت بالعدالة نبأ قبلناه وتسلمنا به وحسبنا الظن بخبره ، ومن هنا استنبط العلماء وجوب قبول الخبر الذي يرويه الواحد العدل .

و مثال الحال : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون^٢ ، فان الغاية من الآية التدرج في تحريم المسكرات على المؤمنين ، فالصلاة لا تقرب الا في حالة الصحة التي يعلم فيها المصلي ما يقول : وفي حال السكر لا يعي الانسان شيئاً مما يفعل و يقول ، ولذلك لا تجوز صلاة المؤمنين وهم سكارى .

و مثال الظرف : فاذكروا الله عند المشعر الحرام^٣ ، فقد هيئت الآية الظرف المكاني الذي يذكر الله فيه ذكراً خاصاً ، فلو ذكر الله في غير هذا المكان لكان تحصيلاً لشيء غير مطلوب ؛ والامر التعبدى لا يعمل ، لأن تنفيذه على الوجه الذي أراده الشارع دليل على طاعة الله ، والتزيد فيه كالتقصان منه معصية و وضع للشيء في غير محله .

و مثل ذلك في قوله تعالى : الحج أشهر معلومات^٤ ، فهذا تعيين

(١) سورة الحجرات رقم : ٦

(٢) سورة النساء رقم : ٤٣

(٣) سورة البقرة رقم : ١٩٨

(٤) سورة البقرة رقم : ١٩٨

لفظرف الزمانى الذى يحرم فيه الحاج ، بحيث لو وقع احرامه فى غير هذه الأشهر لكان غير صحيح .

ومثال العدد : « و الذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبدا و أولئك هم الفاسقون » ، فخذ القاذف ثمانون جلدة لا أكثر و لا أقل .

و هذه الأمثلة الأربعة كلها شواهد على المفهوم الوصفى ، مع شىء من الاتساع فيه .

ومثال المفهوم الشرطى : « و ان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن » ، فاشتراط الحمل يفيد أن غير الحاملات لا يجب الاتفاق عليهن .

(١) سورة النور رقم : ٤

(٢) سورة الطلاق رقم : ٦

(٣) واضح أن الزوجات غير الحاملات اللائى لا ينفق عليهن الأزواج ، من

المستثنيات بما لديهن من المال ، وفقا لقاعدة الاسلام فى تحقيق الكيان

الاقتصادى المستقل للمرأة و كتحقيقه للرجل سواء بسواء ، « للرجال نصيب

بما اكتسبوا و للنساء نصيب بما اكتسبن » الآية من سورة النساء آية رقم

(٢٢) أما فى حالة فقر المرأة فالرجل مسئول عن الاتفاق عليها ، حاملا كانت

أو غير حامل « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

و بما أنفقوا من أموالهم » الآية من سورة النساء آية رقم ٣٤

ومثال المفهوم المحصرى : « اياك نعبد و اياك نستعين »^١ ، أى لا نعبد
أحدًا سواك ولا نستعين إلا بك .

وقد نص العلماء على أنه لا مفهوم للوصول وصلته في قوله « وربائبكم
اللاتى فى حجوركم من نسائكم »^٢ ، لأن الغالب أن يكن فى حجور الأزواج ،
ولا مفهوم للشرطية فى قوله « ولا تكرموا قياتكم على البغاء ان أردن
تحصنًا »^٣ ، بان ارادتهن التحصن موافقة للواقع .

فلا يجوز اكراه الفتيات على البغاء ان مالت أنفسهن الى الفحشاء
ولم يردن التحصن لأن الآية لا تشترط شرطًا وانما توافق واقع الفتيات عند
ما يكون واقعا سليما ليس فيه شذوذ . والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة
أسباب النزول .

(فائدة)

قال بعضهم : الألفاظ اما أن تدل بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها
أو باقتضاها وضرورتها ، أو بمعقولها المستنبط منها كما حكاه ابن الحصار وقال :
هذا كلام حسن : قلت فالأول دلالة المنطوق ، والثانى دلالة المفهوم
والثالث الاقتضاء والرابع دلالة الإشارة .
هذا والله أعلى وأعلم .

(١) سورة الفاتحة رقم : ٥

(٢) سورة النساء رقم : ٢٢

(٣) سورة النور رقم : ٣٤

إعجاز القرآن

الإعجاز لغة : ماخوذ من العجز ، وهو عدم القدرة على فعل الشيء المطلوب .
 اصطلاحا : إعجاز القرآن فصحاء العرب وبلغاهم عن أن يأتوا بمثله .
 القرآن الكريم : هو المعجزة الكبرى لرسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهذا يتطلب منا معرفة المعجزة قبل الحديث عن الإعجاز .

المعجزة : ظاهرة تكررت في حياة الأنبياء صلوات الله عليهم ، لتكون دليلا على صدق دعواهم النبوة .

ولابد في المعجزة ان تتوفر فيها امور ثلاثة .

أولا :

أنها أمر خارق للعادة غير جار على ما إعتاد الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية ، ولذلك فهي غير قابلة لتفسيرها على نحو ما يجرى عادة في الحياة .

ثانيا :

أنها أمر مقرون بالتحدي ، تحدى المكذبين أو الشاكين ، ولا بد

مورد الظلمآن فى علوم القرآن

أن يكون الذين يتحدون من القادرين على آتيان مثل المعجزة ان لم تكن من عند الله والا فان التحدى لا يتصور ، إذ أننا لا نستطيع أن نتصور بطلا فى الملائكة يتحدى طفلا ؛ لأن هذا الطفل عاجز عن مواجهته .

ثالثا :

أنها أمر سالم من المعارضة ، ففى أمكن لاحد أن يعارض هذا الأمر و يأتى بمثله بطل أن تكون معجزة :
و المعجزة على نوعين : حسية وعقلية .

و الملاحظ أن أكثر معجزات الانبياء السابقين كانت حسية بينما نجد أن المعجزة الكبرى التى جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عقلية ، ونعنى بهذه المعجزة القرآن وهناك معجزات أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم .
جاء فى الصحيح أخبارا وهى كثيرة ولعل مرد ذلك الى أن هذه الشريعة آخر الشرائع وستبقى الى الابد الى يوم القيامة ، و من أجل ذلك فقد خصت بالمعجزة العقلية الباقية ، ليراما ذوو البصائر فى كل العصور ومهما تقدم الزمان .

ومكذا فان معجزات الانبياء السابقين عليهم السلام - قد انقرضت بانقراض أعصارهم ؛ فلم يشاهدا إلا من حضرهما ، بينما معجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة .

مورد الظلمآن في علوم القرآن

وبنحو من هذا الذى ذكرنا فسر العلماء قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة :

[ما من الانبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فارجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة] .
الاعجاز :

تحدى القرآن فصحاء العرب بمعارضته ، ومحاولتهم فى المعارضة ، ولكنهم انهزموا أمام تحديه وأعلنوا عجزهم عن تقليده ، وهم فى الذروة العليا من البلاغة والتحكم فى زمام القول ، وجودة القريحة ، وصفاء السليقة ، هذا العجز من هؤلاء القوم الذين أنزل القرآن بلغتهم بشكل عنصرا واحدا من حجة القرآن على العالم ، وهذا العنصر يضع القرآن موضع الاعتبار .

أقول إن أئمة الكفر أنفسهم شعروا بسلطانه على القلوب وهو القدر المتاح لهم لادراك إعجاز اليان - فقالوا لاتباعهم : [لاتسمعوا لهذا القرآن وانغوا فيه لعلكم تغلبون] وذلك خوفا من سريان الروح التى شعر بها الوليد ابن المغيرة حين قال : [إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلو عليه وانه ليحطم ماتحته] وهو نفس الاعجاز الذى أدرك منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجها يناسبه حينما سمع القرآن الكريم فى بيت أخته فتهاوى صرح الشرك من قلبه ، وشمخ صرح الايمان فى كيانه ، إلى آخر ما هو معلوم لنا فى دعوة الاسلام .

فاتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الاعجاز القرآني الى جانب إقناع اليان وتجاوز هذا الاعجاز نطاق البلاغة والفصاحة و تصحيح النظريات العلمية و التنبؤ بالمستقبل الى نطاق السياسة والاجتماع والعلوم التجريبية كلها .

أما الرسول العظيم فيأبى أن تكون الشمس في يمينه والقمر في يساره إلا أن يظهر دين الله ، فالامر اذن فوق جودة الاسلوب وفوق كل الاعتبارات .

ذلك هو ، إذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم محتارين الى تلك العظمة القرآنية التي تفوق مقاييس العظمة الاسلوية المتعارفة آنذاك .

لقد اشتبه الامر على العرب ، فلم تكن في الرسائل السابقة معجزات باطنة في الكتب التي أنزلت على الرسل ، أى لم تكن هناك معجزات من جنس الكلام بل كانت معجزات مادية منفصلة تماما عن الكتب السهاوية .

و هذا الواقع هو الذى دفع العرب الى أن يقولوا : [ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق] . و الى أن يطلبوا منه أن يجعل لهم الصفا ذمبا و الى أن يقولوا عن القرآن : [هذا أفك قديم] حينما لم يهتدوا بعيدا عن معجزات المادة .

القول بالصرقة

زعم إبراهيم بن إسحاق النظام وهو من أئمة المعتزلة في العصر العباسي

أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته وكان مقدورا لهم .

وقد أنكر هذا القول الباطل جمهرة علماء اللغة والدين وتولوا الرد عليه منذ أيام الجاحظ حتى العصر الحاضر ، ونورد فيما يأتي طائفة من اقوال العلماء في استنكار هذا الرأي .

قال الباقلاني رحمه الله : [على أن ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع لكان مهيا حط من رتبة البلاغة فيه ووضع من مقدار الفصاحة في نظمه كان أبلغ في الإعجوبة اذا صرفوا عن الاتيان بمثله ، ومنعوا عن معارضته ، وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن ازاله على النظم البديع واخراجه في المعرض الفصيح العجيب على أنه لو كانوا صرفوا لم يكن من قبلهم من أمل الجاملية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وعجيب الرصف فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله علم أن ما ادعاه القائل بالصرقة ظاهر البطلان وما يطل ما ذكروه من القول بالصرقة قول الامام السيوطي ردا على هذا القول الذي قال به [النظام] ومن جرى مجراه . ان هذا القول فاسد بدليل قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن . .] . الآية .

أما الجاحظ نفسه فقد فضح أستاذه [إبراهيم النظام] فقال : [بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة وهو في ذلك يحتاج عليهم

مورد الظمان في علوم القرآن

بالقرآن ويدعوم صباحا ومساء الى أن يعارضوه ان كان كاذبا بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريبا لعجزهم عنها ، تكشف من نقصهم ما كان مستورا ، وظهر منه ما كان خفيا ، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا : أنت تعرف من اخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فها تو ما مفتریات . فلم يرم ذلك خطيب ؛ ولا طمع فيه شاعر فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، الى غير ذلك من الأقوال التي أبطلت ما ذمب اليه النظام .

وقد لخص السيوطي الافكار التي يتضمنها الرد باربعة .

١ - قوله تعالى : [قل لئن اجتمعت الانس والجن . . . الآية يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبقى فائدة لاجتماعهم لانهم عندئذ يكونون كالموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره .

٢ - أجمع العلماء على أن الاعجاز مضاف للقرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز : بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة .

٣ - يلزم من القول بالصرقة زوال الاعجاز بزوال زمن التحدى . ويخلو القرآن عندئذ من الاعجاز ، وفي ذلك خرق لاجماع الامة أن معجزة الرسول العظمى باقية ، ولا معجزة له باقية سوى القرآن .

٤ - لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرقة لم يكن الكلام معجزا

و انما يكون بالمنع معجزا ؛ فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه .

مدار الاعجاز

الاعجاز دليل النبي صلى الله عليه و سلم على صدق نبوته ، و على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد ومدار الاعجاز الذي واقعته التحدى انما كان أسلوب القرآن ونظمه و يانه ، ولم يكن لشيء خارج عن ذلك . وآيات التحدى كثيرة :

لقد تحدى الانس و الجن أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك مع توافر دواعى أعدائه على معارضته وفصاحتهم وبلاغتهم .

[قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا^(١)] .

وقوله تعالى : [أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين^(٢)] .

ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا .

[أم يقولون اقترأه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل

(١) سورة الاسرا رقم : ٨٨

(٢) سورة الطور رقم : ٣٣

بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون^(١) .

ثم تنازل الى التحدى بسورة من مثله فمجزوا عنه وهم يعلمون عجزهم
وتقصيرهم عن ذلك ، وأن هذا ما لا سبيل لاحد اليه أبدا .

وقوله تعالى : [وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن
تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين^(٢)]
قال الامام ابن كثير رحمه الله .

ومثل هذا التحدى إنما يصدر عن واثق بان ما جاء به لا يمكن للبشر
معارضته ولا الاتيان بمثله ، ولو كان من متقول من عند نفسه لخاف
أن يعارض فينفضح ، ويعود عليه نقيض ما قصده من متابعة الناس له .

ومعلوم لكل ذى لب أن محمدا صلى الله عليه وسلم من أعقل
خلق الله ، بل أعقلهم وأكملهم على الاطلاق ، فما كان ليقدّم على هذا الامر
إلا وهو عالم بأنه لا يمكن معارضته ومكذاه وقع ، فانه من لدن رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى زماننا هذا لم يستطع أحد أن يأتي بنظيره ولا نظير
سورة منه وهذا لا سبيل اليه أبدا .

(١) سورة هود رقم : ١٣-١٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٣ وما بعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

(بيان الاقوال المختلفة في وجوه الاعجاز)

ذكر العلماء في الاعجاز وجوما عديدة : ونحن ازاء هذه العجالة نكتفي

بذكر ثلاثة منها طلبا للاختصار ورعاية لمقتضى الحال .

أحدها : اعجاز ما فيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلية .

وذلك بما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه ، فمن ذلك

ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى

(هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره

المشركون) . ففعل ذلك .

الوجه الثانى :

أنه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه كان أميا

لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ .

وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب

المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ثم أتى بحمل ما وقع وحدث من

عظيمة الأمور ، ومهمات السير ، من حين خلق آدم عليه السلام إلى حين

(١) سورة التوبة رقم : ٣٣

مورد الظمان في علوم القرآن

مبعثه ؛ فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له قصة آدم عليه السلام وابتداء خلقه وما صار أمره اليه من الخروج من الجنة ثم جملا من أمر ولده وأحواله وتوبته الى غير ذلك من المغيبات .

ونحن نعلم علما ضروريا أن هذا بما لا سبيل إليه إلا عن تعلم و اذا كان معروفا أنه لم يكن مخالطا لاهل الآثار وحمة الاخبار و لا مترددا الى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع اليه كتاب فيأخذ منه - علم أنه لا يصل الى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال الله عزوجل : [و ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لارتاب المبطلون^١] . وقال تعالى : [وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست^٢] .

الوجه الثالث :

أنه بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .

و قال الزركشى في البرهان : أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده فانه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك بما لم يسبق فيها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم سواء المقر

(١) سورة العنكبوت رقم : ٤٨

(٢) سورة الأنعام رقم : ١٠٥

والجاء إلى غير ذلك من وجوه إعجاز القرآن .
الخلاصة :

- ١ - قليل القرآن وكثيره في شأن الإعجاز سواء .
- ٢ - الإعجاز في أسلوب القرآن ونظمه وبيانه وخصائصه الفنية مبينة للجهود من خصائص البيان البشرى .
- ٣ - ما في القرآن الكريم من إخبار بالغيب وحديث عن الماضي بدقائه وتفصيلاته وإخبار بدخائل النفس وأسرارها وكشف عن حقائق عليّة وكونيّة ، وأحكام في التشريع يضمن مصالح الناس . كل ذلك بمعزل عن هذا التحدى المفضى الى الإعجاز و ان كان دليلا على انه من عند الله عز وجل ولكنه لا بد على أن نظمه و بيانه مبين لنظم كلام البشر وانه بهذه المبانية كلام رب العالمين .
- ٤ - العرب الذين تحدا القرآن الكريم هم أئمة البيان والفصاحة ولديهم القدرة على تمييز ما كان من كلام البشر ، وما ليس من كلامهم . وقد ادركوا أنهم بالتحدى طولبوا بان يأتوا بمثل هذا الكلام .
- ٥ - ان هذا التحدى لم يقصد به الاتيان بمثل معاني القرآن ؛ بل قصد ان يأتوا بما يستطيعون اقتراء واختلاقة من كل معنى أو غرض مما يعتلج في نفوس البشر .
- ٦ - هذا التحدى مستمر الى يوم القيامة وموجه الى الثقلين أيضا .

٧ - وأخيرا فان العرب الذين نزل عليهم هذا القرآن كانوا يحسون بجماله ويدركون اعجازه . واستمر الأمر كذلك جيلين من الناس الى أن داخلت العجمة سواد الناس فافسدت سلاقتهم ، وبدأت العلوم والمعارف الدخيلة تتسرب الى حياتهم ، و قام دجالون مغرضون يريدون تشويه حقيقة الاسلام وكان من هؤلاء [الجعد بن درهم] ثم جاء النظام إبراهيم بن سيار فقال بالصرقة ، ورد عليه الجاحظ في كتابه [نظم القرآن] وقد أكثر المعتزلة من إثارة قضية اعجاز القرآن ، وكذلك فان عددا من علماء أهل السنة المتذوقين للبيان العربي كتبوا في ذلك من امثال الامام عبد القادر الجرجاني^٢ والرازي و الزملكاني .

وقد بقي من الكتب المؤلفة في القرنين الرابع والخامس عن إعجاز القرآن .

كتاب الرماني و هو [النكت في إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : علي ابن عيسى الرماني المتوفى ٣٨٤ هـ

وكتاب الخطابي وهو [بيان إعجاز القرآن] ومؤلفه هو : حمد بن محمد المتوفى ٣٨٨ هـ

- (١) هو مبتدع له آراء ضالة و ذكره بعضهم في الزنادقة ، قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٨ هـ
- (٢) هو الامام الكبير واضع أسس البلاغة و الذواقة عبد القادر الجرجاني المتوفى ٤٧١ هـ .

وكتاب الباقلاني و هو [إعجاز القرآن] ومؤلفه هو أبو بكر محمد بن

الطيب المتوفى ٤٠٣ هـ

هذا و إن مما يتصل بموضوع إعجاز القرآن الكريم وسمو بيانه
موضوع ترجمة القرآن . والحق في هذه المسألة التي كثر الأخذ والرد فيها أنه
تقرر ان ترجمة القرآن أمر مستحيل ، لان أى نص يبلغ تعذر ترجمته في
أى لغة من لغات الارض فما القول بالكلام الا الهى المعجز ؟
أما تفسير معانى آياته بغير اللغة العربية فامر لا مانع منه ، بل انه
واجب ولكنه لا يسمى قرآنا بحال من الاحوال .
واننى و ان كنت أطنت القول فى الاعجاز فلائنه أمر وثيق الصلة
بالدعوة الاسلامية وبالدراسات القرآنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

(قصص القرآن)

الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع . فاذا تخللها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفة ما من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس وهذا بخلاف الموعظة الخطابية فانها تسرد سردا لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يلقي فيها ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أمدافها ويرتاح المرء لسماعها ويصنى إليها بشوق ولهفة ، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات ، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنا خاصا من فنون اللغة وآدابها والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل ، ويصوره في أبلغ صورة قصص .

قصص القرآن الكريم :

القصص : تتبع الأثر ، يقال : قصصت أثره : أى تتبعته ، والقصص مصدر قال تعالى : [فارتدا على آثارهما قصصا] . أى رجعا يقصان الأثر الذى جاء به .

وقال تعالى على لسان أم موسى [وقالت لاخته قصيه] . أى تتبعى أثره

(١) سورة الكهف رقم : ٦٤

(٢) سورة القصص رقم : ١١

- حتى تنظري من ياخذ .
- و القصص كذلك : الاخبار المتبعة .
- قال تعالى : [ان هذا هو القصص^١] .
- وقال تعالى : [لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب^٢] .
- والقصة : الأمر ، والخبر ؛ والشأن ، والحال .
- وقصص القرآن : اخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة .

وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار . وتتبع آثار كل قوم ؛ وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه .

أنواع القصص في القرآن الكريم

والقصص في القرآن الكريم على ثلاثة أنواع :

النوع الاول :

قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة ، وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصص الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت . وطالوت وجالوت ، وابني آدم ، وأهل الكهف ، وذو القرنين ، وقارون وأصحاب السبت ؛ ومريم ، وأصحاب

(١) سورة آل عمران رقم : ٦٢

(٢) سورة يوسف رقم : ١١١

الاخذود ، واصحاب الفيل وغيرهم .

النوع الثانى :

قصص الانبياء ، وقد تضمن دعوتهم الى قومهم . والمعجزات التى
أيدم الله بها ؛ وموقف المعاندين منهم ، و مراحل الدعوة وتطورها وعاقبة
المؤمنين و المكذبين . كقصص نوح ، وإبراهيم وموسى و هارون و عيسى
و محمد ، وغيرهم من الانبياء و المرسلين ، عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام .
النوع الثالث :

قصص يتعلق بالحوادث التى وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم :
كغزوة بدر وأحد فى سورة آل عمران ، و غزوة حنين و تبوك فى التوبة ،
و غزوة الاحزاب فى سورة الاحزاب . والهجرة والاسراء ونحو ذلك .

تكرار قصص القرآن وحكمته

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذى تكرر فى غير
موضع ؛ فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها فى القرآن الكريم ، وتعرض فى
صور مختلفة فى التقديم والتأخير ، والابحاز والاطناب ، وما شابه ذلك .
ومن حكمة هذا :

١ - يان بلاغة القرآن الكريم فى أعلى مراتبها فن خصائص البلاغة ابراز
المعنى الواحد فى صور مختلفة ، و القصة المتكررة ترد فى كل موضع

باسلوب يميز هن الآخر ، وتصاغ فى قالب غير القالب ، ولا يمل الانسان من تكرارها بل تتجدد فى نفسه معان لا تحصل له بقراءتها فى المواضع الأخرى .

٢ - قوة الاعجاز : فإيراد المعنى الواحد فى صور متعددة مع عجز العرب عن الاتيان بصورة منها أبلغ فى التحدى .

٣ - الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها فى النفس فان التكرار من طرق التاكيد وامارات الاهتمام . كما هو الحال فى قصة موسى عليه السلام مع فرعون . لانها تمثل الصراع بين الحق و الباطل أتم تمثيل مع أن القصة لا تكرر فى السورة الواحدة مهما كثر تكرارها .

٤ - اختلاف الغاية التى تساق من أجلها القصة فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض فى مقام ، وتبرز معانى أخرى فى سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الاحوال .

أثر القصص القرآنى فى التربية والتهذيب

بما لا يدع مجالا للشك أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف - وتنفض الى النفس البشرية بسهولة ويسر ، وتسترسل مع سياقها

مورد الظلمآن فى علوم القرآن

المشاعر فلا تمل ، ويرناد العقل عناصرها فيجنى من حقولها الازمار والثمار .
والدروس التلقينية والالقاءية تورث الملل ، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها
وتستوعب عناصرها الا بصعوبة بالغة والى أمد قصير . ولذا كان الاسلوب
القصصى أجدى نفعا ؛ وأكثر فائدة ؛ وأيسر اسلوبا .

والمعهد - حتى فى حياة الاطفال - ان يميل الطفل الى سماع
الحكاية ، ويصغى الى رواية القصة ، وتعى ذاكرااته ما يروى له . فيحاكيه
ويقصه . هذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغى لمن يعملون فى حقل التعليم
ان يفيدوا منها فى مجالات التعليم . لا سيما التهذيب الدينى ، الذى هو لب
التعليم ، وقوام التوجيه فيه . وفى القصص القرآنى تربة خصبة تساعد
المربين على النجاح فى مهمتهم ، وتمسدهم بزاد تهذيبى ، من سيرة النبيين ،
واخبار الماضين وسنة الله فى حياة المجتمعات ، وأحوال الامم . ولا تقول
فى ذلك الا حقا وصدقا . ويستطيع المربي أن يصوغ القصة القرآنية
بالاسلوب الذى يراه ملائما للمستوى الفكرى للتعليم فى شتى نواحي التعليم -
وياحبذا لو نهج الناس هذا المنهج التربوى السليم كما نهجه بعضهم .

فوائد قصص القرآن الكريم

وللقصص القرآنى فوائد عديدة نورد أهمها فيما يأتى :

١ - إيضاح أسس الدعوة الى الله ، و بيان أصول الشرائع التى بعث بها

كل نبى [وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون^١] .

٢ - تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمة المحمدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق وجنده ، وخذلان الباطل واعوانه .
[وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما ثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين^٢] .

٣ - تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٤ - إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال .

٥ - مقارنته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى ، وتحذيره لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل كقوله تعالى [كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين^٣] .

٦ - والقصص ضرب من ضروب الأدب ؛ يصغى اليه السمع ، وترسخ عبره في النفس ، [لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب^٤] .

(١) سورة الانبياء رقم : ٢٥

(٢) سورة هود رقم : ١٢٠

(٣) سورة آل عمران رقم : ٩٣

(٤) سورة يوسف رقم : ١١١

بسم الله الرحمن الرحيم

(أمثال القرآن)

الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسن يقربها الى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتمثيل هو الغالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الازمان ، وذلك مثل تشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير ، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا ، فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له ؛ واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه .

و من العلماء من أفرد الامثال في القرآن بالتأليف ، ومنهم من عقد لها بابا في كتاب من كتبه ؛ فأفردها بالتأليف - أبو الحسن الماوردي . وعقد لها بابا السيوطي في الاقتبان ، وابن القيم في كتاب أعلام الموقعين حيث تتبع أمثال القرآن التي تضمنت تشبيه الشيء بنظيره ، والتسوية بينهما في الحكم - فبلغت بضعة وأربعين مثلا .

(١) هو أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي : صاحب كتاب أدب الدنيا والدين

و كتاب الاحكام السلطانية - ت ٤٥٠ هـ .

مورد الظلمان في علوم القرآن

وقد أخبرنا الله تعالى بضرب الامثال في القرآن الكريم : فقال جل شأنه [ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون^١]
 وقال تعالى : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون^٢ .
 وقال تعالى : [وتلك الامثال نضربها للناس لعلمهم يتفكرون^٣]
 .

و اخرج البيهقي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [ان القرآن نزل على خمسة اوجه (١) حلال ، (٢) وحرام ، (٣) ومحكم ، (٤) ومتشابه ، (٥) وامثال ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالامثال] .

قال الماوردي : من أعظم علم القرآن علم امثاله والناس في غفلة عنه لا اشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات ، والمثل بلا مثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام . وقد عده الشافعي بما يجب على المجتهد معرفته من [علوم القرآن] فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته ، المينة لاجتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ و الازدیاد من نوافل الفضل .

وقال الشيخ عز الدين : انما ضرب الله الامثال في القرآن تذكيرا ووعظا

(١) سورة الزمر رقم : ٢٧

(٢) سورة العنكبوت رقم : ٤٣

(٣) سورة الحشر رقم : ٢١

مورد الظمان في علوم القرآن

فما اشتمل منها على تفاوت ثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام . وقال غيره : ضرب الامثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقريب وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس ، فان الامثال تصور المعاني بصورة الاشخاص لانها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالمشاهد ؛ وتأتي امثال القرآن مشتملة على بيان بتفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ؛ وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطاله .

قال تعالى : [وضربنا لكم الأمثال] . فامتن علينا بذلك لما تضمنه

من الفوائد .

قال الزركشي في البرهان : ومن حكمته تعليم البيان وهو من

خصائص هذه الشريعة .

وقال الزمخشري : التمثيل انما يصار اليه لكشف المعاني وادناه

المتوهم من المشاهد ، فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله وان كان حقيرا كان الممثل به كذلك .

وقال الأصبهاني : لضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظائر شأن

ليس بالخفي في ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق ، تريك التخيل في صورة المتحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كانه مشاهد

وفي ضرب الامثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ، وفيه أيضا من تقرير المقصود ما لا يخفى فانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه « الامثال » ومن سور الانجيل سورة تسمى « الامثال » وفشت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء

تعريف الأمثال

الامثال : جمع مثل ، والمثل والمثل والمثيل : كالشبه والشبه والشيء لفظا ومعنى . والمراد به هنا ابراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالا . والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد ، كما لا يشترط أن يكون مجازا مركبا .

واذا نظرنا الى امثال القرآن التي يذكرها المؤلفون وجدنا أنهم يوردون الآيات المشتملة على تمثيل حال أمر بحال أمر آخر ؛ سواء أورد هذا التمثيل بطريق الاستعارة ، أم بطريق التشبيه الصريح ؟ أو الآيات الدالة على معنى رائع بامجاز ، أو التي يصح استعمالها فيما يشبه ما وردت فيه فان الله تعالى ابتدأها دون أن يكون لها مورد من قبل .

فامثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبه والنظير ؛ ولا يجوز حملها على ما يذكر في كتب اللغة لدى من ألفوا

مورد الظمان في علوم القرآن

في الامثال . اذ ليست امثال القرآن اقوالا استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها ، كما لا يستقيم حملها على معنى الامثال عند علماء البيان فن امثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش استعماله .

فابن القيم يقول في امثال القرآن : تشبيه شيء بشيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر . ويسوق الأمثلة : فجد أكثرنا على طريقة التشبيه الصريح كقوله تعالى : [إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء] .

و في الحديث الصحيح [ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، وذلك مثل من فقه في دين الله ففقه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، و مثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به .

ومنها ما يحى على طريقة التشبيه الضمني ، كقوله تعالى : [ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه] . اذ ليس فيه تشبيه صريح .

ومنها ما لم يشتمل على تشبيه ولا استعارة كقوله تعالى : [يا أيها الناس

(١) سورة يونس رقم : ٢٤

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب^١ .

فقوله تعالى : [ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا] قد سماه الله مثلا وليس فيه استعارة ولا تشبيه .

و أما المثل في الأدب : فهو قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذى حكى فيه بحال الذى قيل لأجله ، أى يشبه مضربه بمورده ، مثل [رب رمية من غير رام] أى رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ ، وأول من قال هذا الحكم بن يغوث النقرى ؛ يضرب للخطئ . يصيب أحيانا وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به .

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن ، وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات كقوله تعالى : [مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن^٢] أى قصتها وصفتها التى يتعجب منها .

و أشار الزمخشري الى هذه المعاني الثلاثة فى كشفه فقال : [و المثل فى أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ، ثم قال : وقد استعير المثل للحال أو القصة أو الصفة اذا كان

(١) سورة الحج رقم : ٧٣

(٢) سورة محمد رقم : ١٥

لها شأن وفيها غرابة .

ومناك معنى رابع ذهب اليه علماء البيان في تعريف المثل فهو عديم
المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله .
وأصله الاستعارة التمثيلية كقولك للتردد في فعل أمر : [مالى أراك
تقدم رجلا وتؤخر أخرى] .

أنواع الامثال في القرآن

الامثال في القرآن ثلاثة أنواع : ١ - الامثال المصروفة .
٢ - والامثال الكامنة . ٣ - والامثال المرسلة .

النوع الاول : الامثال المصروفة : وهي ما صرح فيها بلفظ المثل
أو ما يدل على التشبيه . وهي كثيرة في القرآن على سبيل المثال لا الحصر
نورد منها ما يأتي :

الف - قوله تعالى في شأن المنافقين [مثلهم كمثل الذي استوقد نارا
فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم
بكم عى فهم لا يرجعون . او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق -
إلى قوله - ان الله على كل شىء قدير] .

ففي هذه الآيات ضرب الله للمنافقين مثلين : مثلاً نارياً في قوله :

(١) سورة البقرة رقم : ١٧-٢٠

[كثل الذي استوقد نارا -] لما في النار من مادة النور و مثلاً مائياً في قوله [أو كصيب من السماء . .] لما في الماء من مادة الحياة وقد نزل الوحي من السماء متضمناً لاستنارة القلوب وحياتها - وذكر الله حظ المنافقين في الحالتين - فهم بمنزلة من استوقد نارا للاضائة و النفع حيث اتفقوا مادياً بالدخول في الاسلام ولكن لم يكن له أثر نوري في قلوبهم فذهب الله بما في النار من الاضائة [ذهب الله بنورهم] وبقى ما فيها من الاحراق و هذا مثلهم الناري و ذكر مثلهم المائي فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخرجت قواه و وضع اصبعيه في اذنيه وغمض عينيه خوفاً من صاعقة تصيبه لان القرآن بزواجه و نواحيه وخطابه نزل عليهم نزول الصواعق .

ب - و ذكر الله المثليين : المائي و الناري - في سورة الرعد للحق و الباطل فقال تعالى [أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً راياء و ما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق و الباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاً و اما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال] شبه الوحي الذي أنزله من السماء لحياة القلوب بالماء الذي أنزله لحياة الارض بالنبات ؛ و شبه القلوب بالآودية و السيل اذا جرى في الآودية احتمل زبداً و غشاً فكذلك الهدى و العلم اذا سرى في القلوب اثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها ، و هذا هو المثل

الماتى في قوله [أنزل من السماء ماء] ومكذا يضرب الله الحق والباطل .

وذكر المثل النارى في قوله [وما يوقدون عليه في النار] فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجומר الذى يتففع به فيذهب جفاء . فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوما كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد ومذا الخبث .

النوع الثانى : من الامثال : الامثال الكامنة - وهى التى لم يصرح فيها بلفظ المثل ؛ ولكنها تدل على معان رائعة فى إيجاز ، يكون لها وقعها اذا نقلت الى ما يشبهها ، ويمثلون لهذا النوع بامثلة منها .

١ - ما فى معنى قولهم [خير الامور أوسطها] .

الف - قوله تعالى : [لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك^١] .

ب - قوله تعالى : فى النفقة [والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما^٢] .

ج - قوله تعالى فى الصلاة : [ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا^٣] .

د - قوله تعالى فى الاتفاق : [ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك

(١) سورة البقرة رقم : ٦٨

(٢) سورة الفرقان رقم : ٦٧

(٣) سورة الاسراء رقم : ١١٠

ولا تبسطها كل البسط^١ .

٢ - ما في معنى قولهم [ليس الخبر كالبيان] .

قوله تعالى في إبراهيم عليه السلام [قال أو لم تؤمن قال بلى
ولكن ليطمئن قلبي^٢] .

٣ - ما في معنى قولهم [كما تدين تدان] .

قوله تعالى : [من يعمل سوءا يجز به^٣] .

٤ - ما في معنى [لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين]

قوله تعالى بلسان يعقوب [قال هل آمنكم عليه إلا كما أمفتكم على أخيه
من قبل^٤] .

النوع الثالث : الامثال المرسلة في القرآن الكريم : وهي جمل أرسلت

ارسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه . فهي آيات جارية مجرى الامثال .
و من أمثلة ذلك ما يأتي :

١ - [الآن حصص الحق^٥] .

٢ - [ليس لها من دون الله كاشفة^٦] .

(١) سورة الاسراء رقم : ٢٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٦٠

(٣) سورة النساء رقم : ١٢٣

(٤) سورة يوسف رقم : ٦٤

(٥) سورة يوسف رقم : ٥١

(٦) سورة النجم رقم : ٥٨

مورد الظمان في علوم القرآن

- ٣ - [قضى الأمر الذى فيه تستفتيان^١] .
- ٤ - [اليس الصبح بقريب^٢] .
- ٥ - [لكل نأ مستقر^٣] .
- ٦ - [ولا يحيق المكر السيء إلا بأمله^٤] .
- ٧ - [قل كل يعمل على شاكلته^٥] .
- ٨ - [وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم^٦] .
- ٩ - [كل نفس بما كسبت رهينة^٧] .
- ١٠ - [هل جزاء الإحسان إلا الإحسان^٨] .
- ١١ - [كل حزب بما لديهم فرحون^٩] .
- ١٢ - [ضعف الطالب و المطلوب^{١٠}] .

-
- (١) سورة يوسف رقم : ٤١
 - (٢) سورة هود رقم : ٥٨
 - (٣) سورة الأنعام رقم : ٦٧
 - (٤) سورة فاطر رقم : ٤٣
 - (٥) سورة الأسراء رقم : ٨٤
 - (٦) سورة البقرة رقم : ٢١٥
 - (٧) سورة المدثر رقم : ٣٨
 - (٨) سورة الرحمن رقم : ٦٠
 - (٩) سورة المؤمنون رقم : ٥٣
 - (١٠) سورة الحج رقم : ٧٣

- ١٣ - [مثل هذا فليعمل العاملون^١] .
- ١٤ - [لا يستوى الخبيث والطيب^٢] .
- ١٥ - [كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله^٣] .
- ١٦ - [تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى^٤] .

واختلفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه ارسال المثل ، ما حكم استعماله استعمال الامثال ؟ فراه بعض أهل العلم خروجا عن أدب القرآن . قال الرازى في تفسير قوله تعالى [لكم دينكم ولى دين] جرت عادة الناس بان يتمثلوا بهذه الآية عند التاركة وذلك غير جائز لأنه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به ، بل يتدبر فيه ، ثم يعمل بموجبه] .

ورأى آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجذ كان يأسف أسفا شديدا لنزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول : [ليس لها من دون الله كاشفة] أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استمواه إلى باطله فيقول [لكم دينكم ولى دين] والاثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام الهزل والمزاح .

(١) سورة الصافات رقم : ٦١

(٢) سورة المائدة رقم : ١٠٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٢٤٩

(٤) سورة الحشر رقم : ١٤

فوائد الامثال

- ١ - الامثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلبسه الناس ، فيقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن الا اذا صيغت في صورة حسية قريبة الفهم كما ضرب الله مثلا لحال المتفق رياء حيث لا يحصل من اتفاقه على شيء من الثواب ؛ فقال تعالى [فمثل كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا] .
- ٢ - وتكشف الامثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر كقوله تعالى [الذين يأكلون الربا لا يقومون] الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس^٢ .
- ٣ - وتجمع الامثال المعنى الرائع في عبارة موجزة كالامثال الكامنة والامثال المرسلة في الآيات الآتية الذكر .
- ٤ - ويضرب المثل للترغيب في الممثل حيث يكون الممثل به بما ترغب فيه النفوس كما ضرب الله مثلا لحال المتفق في سبيل الله حيث يعود عليه الاتفاق بخير كثير فقال تعالى : [مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف]

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦٤

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٥

لمن يشاء والله واسع عليم^[١] .

٥ - ويضرب المثل للتغفير حيث يكون المثل به مما تكرمه النفوس كقوله تعالى في النهي عن الغيبة [ولا يغتب بعضكم بعضا يجب أحداكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه^[٢]] .

٦ - ويضرب المثل لمدح الممثل كقوله تعالى في الصحابة [ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاء فأزره فاستغلظ فاستوى على سواه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار^[٣]] وكذلك حال الصحابة فانهم كانوا في بدء الامر قليلا ، ثم أخذوا في النمو حتى استحکم امرهم وامتلات قلوب اعجابا بعظمتهم .

٧ - ويضرب المثل حيث يكون للمثل به صفة يستقبحها الناس ، كما ضرب الله مثلا لحال من آتاه الله الكتاب ، فتتكب الطريق عن العمل به ، وانحدر في الدنيا منغمسا فقال تعالى : [واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا^[٤]] .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٦١

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٢

(٣) سورة الفتح رقم : ٢٩

(٤) سورة الاعراف رقم : ١٧٥-١٧٦

مورد الظمان في علوم القرآن

٨ - والامثال أوقع في النفس ، و أبلغ في الوعظ ، واقوى في الزجر ؛
وأقوم في الاقناع ، وقد أكثر الله تعالى الامثال في القرآن الكريم
للتذكرة والعظة وقد بسطنا القول في ذلك .

وضربها النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه ، واستعان بها الداعون
الى الله في كل عصر لنصرة الحق واقامة الحجة ويستعين بها المربون ،
ويتخذونها من وسائل الايضاح والتشويق ، و وسائل الترية في الترغيب
أو التنفير في المدح أو الذم . الى غير ذلك مما تقدم بيانه .

انتهى بتصرف .

مذا والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

علم الرسم القرآني

اتبعت اللجنة الرابعة في استنساخ مصاحف الامصار على عهد عثمان رضى الله عنه طريقة خاصة ارتضاها هذا الخليفة في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه . وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه الطريقة [برسم المصحف] وكثيرا ما ينسبون هذا الرسم الى الخليفة الذي ارتضاه فيقولون : رسم عثمان أو [الرسم العثماني] وكان لا بد أن يحاط هذا الرسم بهالة من الاجلال والتقدير فالخليفة الذي ارتضاه ووضعه موضع التنفيذ شهيد عظيم لقي مصرعه وهو يتلو كتاب الله خاشعا متبتلا .

الأصل في المكتوب أن يكون موافقا تمام الموافقة للنطق ، من غير زيادة ولا نقص ، ولا تبديل ولا تغيير . ولكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل ، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لاغراض شريفة ظهرت وتظهر لك فيما بعد . ولم يكن ذلك منهم كيفما اتفق ، بل على أمر عديم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه وقد عنى العلماء بالكلام على رسم القرآن وحصر تلك الكلمات التي جاء

خطها على غير مقياس لفظها - وقد أفرد بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين ، منهم الامام أبو عمرو الداني إذ ألف فيه كتابه المسمى [المقنع] ومنهم العلامة أبو عباس المراكشي إذ ألف كتابا أسماه [عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل] .

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الشهير بالمتولى إذ نظم أرجوزة سماها [الؤلؤ المنظوم في ذكر جملة من الرسوم] الى غير ذلك .
قال ابن درستويه : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض .

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن الخط ثلاثة أقسام :

- ١ - خط يتبع به الاقتداء السابق ، وهو رسم المصحف .
- ٢ - وخط جرى على ما أثبتته اللفظ واسقاط ما حذفه وهو خط العروض فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل .
- ٣ - وخط جرى على العادة المعروفة ، وهو الذي يتكلم عليه النحوى .

وقال الفارسي :

لما عمل أبو بكر بن السراج كتاب الخط والهجا . قال لى : أكتب كتابا هذا قلت له : نعم إلا أنى آخذ بآخر حرف منه ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : [ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخطأ] .
قال أبو الحسين بن فارسى فى كتاب فقه اللغة : [يروى أن أول من كتب

مورد الظمان في علوم القرآن

الكتاب العربي والسرمان والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في طين وطبخه : فلما اصاب الارض الفرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، فاصاب اسماعيل الكتاب العربي .

وكان ابن عباس يقول : اول من وضع الكتاب العربي اسماعيل عليه السلام قال : والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة ؛ وقال ابن فارس : الذي نقوله أن الخط توقيفي لقوله تعالى [علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم] وقال : [ن والقلم وما يسطرون] .

وأن هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله آدم عليه السلام ، وقد ورد أمر أبي جاد ومبتدا الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها ، وقد بسطت في تأليف مستقل .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف باسمائها ، وانهم لم يعرفوا نحوها ولا اعرابا ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا .

(١) قالوا ، و الدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الاعراب أنه قيل له : أتهمز اسرائيل ؟ فقال : اني اذن لرجل سوء ، قالوا : وانما قال ذلك لانه لم يعرف من الهمز الا الضغط والمصر . وقيل لآخر : أتجر فلسطين ؟ فقال اني اذن لقوى . قالوا : وسمع بعض فصحاء العرب ينشد :
(نحن بني علقمة الاخيار)

فقيل له : نصبت (بني) فقال : ما نصبته . وذلك أنه لم يعرف من النصب =

مورد الظمان في علوم القرآن

قال : وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العرية وأن الخليل أول من وضع العروض فلا ننكره ؛ وإنما نقول : [إن هذين العلمين كانا قديما وأنت عليهما الايام ، وقلا في ايدي الناس ، ثم جددهما هذان الامامان] .

ومن الدليل على عرفان القدماء [من الصحابة وغيرهم] ذلك كتابتهم المصحف على الذى يطله النحويون في ذوات اليا و الواو و الهمز والمد ، والقصر .

فكتبوا ذوات اليا باليا و ذوات الواو بالواو ، ولم يصوروا الهمزة اذا كان ما قبلها ساكنا ، نحو [الحَبْء] و [الدَفء] و [المَلء] فصار ذلك [كله] حجة ، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصاحف .

وأسند الى الفراء قال : إتباع المصحف إذا وجدت له وجهها من كلام العرب وقراءة القراء أحب الى من خلافه .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، الا على الكتابة الاولى . رواه

الا اسناد الشيء . قالوا : وحكى الاخفش عن اعرابي فصيح أنه سئل ان ينشد قصيدة على الدال فقال : وما الدال ؟ وحكى أن أبا حية النخعي سئل ان ينشد قصيدة على الكاف فقال :

كنى بالناس من أسماء كاف وليس لسقمها اذ طال شاف

أبو عمرو الداني في المقنع ثم قال : ولا يخالف له من علماء الأمة .
و قال في موضع آخر : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل
الواو والالف أترى أن تغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك ؟ فقال :
لا . قال أبو عمرو : يعنى الواو والالف المزيدين في الرسم لمعنى المعدومتين
في اللفظ نحو الواو في [اولوا الالباب] [وأولات] و [الربوا] ونحوه
و قال الامام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في يا
أو واو أو ألف أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا في الصدر الاول والعلم حى غض و اما الان
فقد يخشى الالتباس ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة
المصحف الآن على الرسوم الاولى باصطلاح الأئمة لثلا يوقع في تغير من
الجهال ولكن لا ينبغي اجراء هذا على إطلاقه لثلا يودى الى دروس العلم
وشى . أحكمته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ولن تخلو الأرض من
قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقي في شعب الايمان : من كتب مصحفا فينبغى
أن يحافظ على حروف الهجاء التى كتبوا بها تلك المصاحف ، و لا يخالفهم
فيها ولا يغير مما كتبوه شيئا فانهم أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة
منا فلا ينبغى أن نظن . بأنفسنا استدراكا عليهم . و روى بسنده عن زيد
قال : القراءة سنة . قال سليمان بن داود الهاشمي : يعنى ألا تخالف الناس
برأيك في الاتباع .

قال : و بمعناه بلغنى عن أبي عبيد في تفسير ذلك : وترى القراء

لم يلتفتوا الى مذهب العربية في القراءة اذا خالف ذلك خط المصحف . واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لاحد ان يتعداها .

قواعد رسم المصحف

وللمصحف العثماني قواعد في خطه و رسمه ، حصرها علماء الفن في ست قواعد هي : [١] الحذف [٢] والزيادة [٣] والهمز [٤] والبدل [٥] والفصل والوصل [٦] وما فيه قراءتان ققرئ على احدهما -

[القاعدة الاولى في الحذف] تحذف الالف من يا النداء نحو : يا أيها الناس ويا آدم . ويا رب ، يا عباد . وما التثنية نحو : هؤلاء ، ما أتم . ونا مع ضمير نحو أنجبناكم وآتيناه . ومن ذلك ، وأولئك ولكن وتبارك وفروع الأربعة والله كيف وقع والرحمن وسبحان كيف وقع الأقل سبحان ربي وبعد لام نحو : خلافت خلاف رسول الله ، سلام ، غلام ، ابلاف ، يلاقوا . وبين لامين نحو : الكلالة ، الضلالة ؛ خلال الديار ، للذي ييك . ومن كل علم زائد على ثلاثة : كإبراهيم وصالح وميكائيل الا جالوت و هامان و ياجوج و مأجوج و داود لحذف واو . واسرائيل لحذف يائه . واختلف في ماروت وماروت وقارون . ومن كل مثنى اسم أو فعل ان لم يتطرف نحو : رجلان ، يعلمان ، أضلانا ، ان هذان ، الا بما قدمت يداك . ومن كل جمع تصحيح لمذكر كان أو مؤنث نحو : اللاعنون ملاقوا ربهم ، الا طاغون في الذاريات

مورد الظمان في علوم القرآن

والطور ، وكراما كاتبين ، والا روضات في شورى ، وآيات للسائلين ، ومكر في آياتنا وآياتنا يينات في يونس ؛ والا ان تلاها همزة نحو الصائمين والصائمات او تشديد نحو ، الضالين والضاغات فان كان في الكلمة ألف ثانية حذفت أيضا الا سبع سموات في فصلت . ومن كل جمع على مفاعل او شبهه نحو : المساجد ومساكن ، واليتامى ، والنصارى ، والمساكين ؛ والخبائث والملائكة ، والثانية من خطايا كيف وقع و من كل عدد نحو ثلاث ، وساحر الا في آخر الذاريات فان ثنى فالغاء ، والقيامة ، وشيطان وسليطان ، و تعالى ، واللاتى ، واللاتى ، وخلالق ، وعالم ، وبقادر ، والاصحاب ، والانهار ، والكتابة .

ومكر الثلاثة إلا اربعة مواضع : لكل أجل كتاب ، كتاب معلوم ، كتاب ربك في الكهف ، وكتاب مبين في النحل .

ومن البسمة بسم الله مجراها ، ومن أول الامر من سأل .

ومن كل ما اجتمع فيه ألفان أو ثلاثة نحو : آدم ، آخر ، أشفقتم ، أنذرتهم ، غناء ، ومن وراء كيف وقع ؛ الا ما رأى ، ولقد رأى في النجم ، والا نأى ، والآن ، الا فمن يستمع الآن ، والألفان من الايكة ، الا في الحجر و ق .

وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا نحو : باغ ولا عاد . والمضاف لها إذا نودى الا يا عبادى الذين أسرفوا ، يا عبادى الذين آمنوا في العنكبوت ، أو لم يناد ، الا قل لعبادى ، أسر بعبادى في طه وحم ، فادخل

في هادى وادخل جتى . ومع مثلها نحو : ولي ، والحواريين ، ومتكئين ،
إلا عليين ، ويهى ، ومي ، ومكر السي . وسينة ، والسبنة ، أفعينا ، ويجي
مع ضمير لا مفردا ، وحيث وقع أطيعون ، اتقون ، خافون ، ارمبون ،
فارسلون ، واعبدون ؛ إلا في يس واخشون ، إلا في البقرة وكيدون ،
إلا فكيدون جميعا ؛ واتبعون إلا في آل عمران وطه ، ولا تنظرون ،
ولا تستعجلون ، ولا تكفرون ، ولا تقربون ، ولا تخزون ، ولا تفضحون ،
ويهدين ، وسهدين ، وكذبون ، ويقتلون ، أن يكذبون ، ووعيدى ،
والجوار ؛ وبالوادی والمهتدى ، إلا في الاعراف .

وتحذف الواو إذا وقعت مع واو أخرى في نحو لا يستون
فاووا ، وإذا المؤودة ، يؤوسا . وتحذف اللام إذا كانت مدغمة في مثلها
نحو الليل ، والذى ، إلا الله ، واللهم ؛ واللغة وفروعه ، واللهو ؛ واللغو ،
والتؤؤ والللات ، واللم ، والللب ، واللطيف ؛ واللوامة .

[فرع] في الحذف الذى لم يدخل تحت القاعدة . حذف الألف
من مالك الملك ، ذرية ضعافا ، مراغما ، خادعهم ، أكالون للسحت ، بالغ ،
ليجادلوكم ، وباطل ما كانوا في الاعراف وهود ، الميعاد في الانتقال ، ترابا
في الرعد والنمل ، وعم : جذاذا ، يسارعون ، أيه المؤمنون ؛ أيه الساحر
أيه الثقلان ، أم موسى فارغا ، وهل نجازى ؛ من هو كاذب ؛ للقاسية ، في
الزمر ، عامد عليه الله ، ولا كذابا .

مورد الظمان في علوم القرآن

وحذف الياء من إبراهيم في البقرة ، والداع إذا دعان ؛ ومن
اتبعن ، وسوف يؤت الله ، وقد هدان ؛ ننج المؤمنين ؛ فلا تسالن ما ؛
يوم يات لا تكلم ، حتى تؤتون موثقا ، تفقدون ، المتعال ؛ متاب ؛ مآب ،
عقاب ، في الرعد وغافر ، وفيها عذاب ، أشركتمون من قبل ، وتقبل دعاء ؛
لئن أخرتن ، أن يهدين ، ان ترن ، أن يؤتين ، أن تعلمن ، نبغ ، الخمسة
في الكهف ، أن لاتبعن في طه . والباد ، و ان الله لهاد ، أن يحضرون ؛ رب
ارجعون ، يسقين ، يشفين ، يحيين ، واد النمل ، أتمدونن ، فما آتان ، تشهدون ،
بهاد العمى ، كالجواب ؛ ان يردن الرحمن ، لا ينقذون ، واسمعون ، لتردين ،
صال الجحيم ، التلاق ؛ التناد ، ترجون ، فاعتزلون ، يناد المنادي ، ليعبدون ،
يطعمون ، تقن ، الداع ، مرتين في القمر يسر ، أكرهن ، ولي دين .

وحذف الواو من : ويدع الانسان ، ويمح الله في الشورى ؛ يوم
يدع الداع ، سندع الزبانية .

قال المراكشي :

والسر في حذفها من هذه الأربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل
وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود ، وأما - ويدع
الانسان - فيدل على انه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع في الخير ، بل
إثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير . وأما - ويمح الله
الباطل - فللاشارة الى سرعة ذهابه واضمحلاله ، وأما - يدع الداع - فللاشارة

الى سرعة الدعاء و سرعة اجابة الداعين ، واما الاخيرة فللاشارة الى سرعة الفعل ، و اجابة الزبانية وقوة البطش .

[القاعدة الثانية في الزيادة]

تزداد الالف بعد الواو في آخر كل اسم بمجموع او في حكه ، نحو :
[ملاقوا ربهم ، بنو إسرائيل ، اولو الالباب . و بعد الهمزة المرسومة
واوا نحو [تالله تفتّوا] وفي كلمات مائة و مائتين ، و الظنونا ، والرسولا ،
و السيلا ، في قوله تعالى : [وتظنون بالله الظنونا] [و اطعنا الرسولا]
[فاضلونا السيلا] .

و تزداد الياء في [من نبأ المرسلين] و [ملائهم] و [من آتاه الليل]
في طه ، [من تلقائى نفسى ، من وراء حجاب] في الشورى [وايتاه ذى القربى]
في النحل ، [ولقاه الآخرة] في الروم ، [بأبيكم المفتون بيناهما بايد ، أفان
مات ، أفان مت] .

و تزداد الواو في نحو [اولو ، أولئك ، اولاء ، اولات ، سأوريكم] .
قال المراكشى :

و انما زيدت هذه الاحرف في هذه الكلمات للتهويل والتفخيم والتهديد
والوعيد ؛ كما زيدت في [بايد] تعظيم لقوة الله تعالى التى بنى بها السماء
التى لا تشابها قوة ، و قال الكرمانى في العجائب : كانت صورة الفتحة

(١-١-١) سورة الاحزاب رقم : ١٠-٦٦-٦٧

مورد الظمان في علوم القرآن

في الخطوط قبل الخط العربي ألفا ، وصورة الضمة واوا ، وصورة الكسرة يا ، فكتبت لا أوضعوا ونحوه بالالف مكان الفتحة ؛ وابتأى ذى القربى بالياء مكان الكسرة ، وأولئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول .

القاعدة الثالثة : في الهمز

ان الهمزة إذا كانت ساكنة تكتب بحرف حركة ما قبلها . أولا أو وسطا أو آخرنا نحو : إيدن . وأوتمن ، والبأساء ، واقرا ، وجثناك ، ومهي . والمؤتون ، وتسوؤهم الا فاداراتهم ، ورياء ، والرياء ، وشطئه ، فحذف فيها . وكذا أول الأمر بعد فاء نحو فاتوا ، أو واو نحو : وأتمروا . والمتحرك ان كان أولا أو اتصل به حرف زائد بالالف مطلقا : أى سواء كان فتحة أو ضمنا أو كسرا نحو : أيوب إذا ، أولوا ، ساصرف ، فباى ، سائل ، الا مواضع ، أنكم لتكفرون ، أننا لنخرجون فى النمل ، أننا لتاركوا الهتنا ، أن لنا فى الشعراء ، أنذا متنا ، أن ذكرتم ، أنفكا ، أئمة ، ثلثا ، لن ، يومئذ فيكتب فيها بالياء ، قل أوبئكم ، وهؤلاء فكتب بالواو . وان كان وسطا فبحرف حركته نحو سال ، سئل ، نقرؤه ، إلا جزاءه الثلاثة فى يوسف .

ولاملائن ، وامتلأت ، واشمأزت ، واطمأنوا ، فحذف فيها . والا ان فتح وكسر أو ضم ما قبله أو ضم وكسر ما قبله فبحرفه نحو : الخاطئة ، فؤادك ستقرئك ، وان كان ما قبله ساكنا حذف هو نحو : يسئل ،

لا تجثروا ، إلا النشأة ، وموتلا في الكف .

فان كان الفاء وهو مفتوح فقد سبق أنها تحذف لاجتماعها مع ألف مثلها إذ الهمز بصورتها نحو أنبأنا و حذف معها أيضا في قرآنا في يوسف والزخرف ، وان كانت ضم أو كسر فلا نحو : آباؤكم ، آبائهم إلا قال أولياؤهم ، إلى أوليائهم ، في الانعام ، إن أولياؤه في الانفال ، نحن أولياؤكم في فصلت . وان كان بعده حرف يجانسه فقد سبق أيضا أنه تحذف نحو : شأن ، خاسئين ، يستهزئون ، وان كان آخر فبحرف حركة ما قبله نحو : سبأ ، شاطئ ؛ لؤلؤا ، إلا مواضع تفتو ، تفتيوا ، أتوكؤا ، لا تظمؤا ، ما يعبؤا ، ينشؤا ، يذرؤا ، نبؤا ، قال الملتؤا ، الاول في قد أفلح والثلاثة في النمل . إلا في خمسة مواضع اثنان في المائدة وفي الزمر والشورى والحشر ، شركاؤا في الانعام ، و شررى ؛ يأتبهم أنبؤا في الانعام والشعراء علماؤا فيه ، من عباده العلماؤا ، والضعفاؤا في إبراهيم و غافر في أموالنا ما نشاؤا ، وما دعاؤا في غافر ؛ شفعاؤا في الروم ؛ إن هذا هو البلاؤا المبين في الدخان ، برآؤا منكم تكتب في الكل بالواو فان سكن ما قبله حذف هو نحو : مل. الأرض ، دف ، شي . الحب ، ماء ، إلا لتنؤا ، وإن تبؤوا ، السوء كذا استثناء القراء .

قلت : وعندي أن هذه الثلاثة لا تستثنى لأن الألف التي بعد الواو

ليست صورة الهمزة بل هي المزيدة بعد واو الفعل .

القاعدة الرابعة : في البدل .

[١] تكتب الالف واوا للتفخيم و ذلك في أربعة أصول مطردة ؛
وأربعة أحرف متفرعة .

فالأصول الأربعة هي [الصلاة] و [الزكاة] و [الحياة] و [الربو] .

وأما الأربعة الأحرف فهي قوله في الأنعام والكهف : [بالغدوة] ،
والنور [كشكوة] ، و في المؤمن [النجوة] و في النجم [ومناوة] .
فاما قوله : [و ما كان صلاتهم] ، [ان صلاتي] ، [حياتنا الدنيا]
[و ما آتيتم من ربا] فالرسم بالالف في الكل .

والقصد بذلك تعظيم شان هذه الأحرف فان الصلاة والزكاة عمودا
الاسلام و الحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان
ومفتاح التقوى ، ولهذا قال : [اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا]
الى قوله تعالى [فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله و رسوله^١] و يشتمل على
أنواع الحرام ، وأنواع الخبائث ، وضروب المفاسد ، وهو تقيض الزكاة ولهذا
قول بينهما في قوله تعالى : [يمحق الله الربوا ويربى الصدقات^٢] واجتنابه
أصل في التصرفات المالية .

و إنما كتبت بالالف في سورة الروم لأنه ليس العام الكلى ، لان

(١) سورة البقرة رقم : ٢٧٩

(٢) سورة البقرة رقم : ٢٧٦

مورد الظلمآن في علوم القرآن

الكلى منى فى حكم الله عليه بالتحريم و فى نى الكلى نى جميع جزئياته .

فان قلت : فلم كتبت [الزكاة] منا بالواو ؟ وملا جرت على نظم ما قبلها من قوله تعالى : [وما آتيتم من ربا] .

قلت : لأن المراد بها الكلية فى حكم الله ؛ ولذلك قال : [فاولئك هم المضعفون] و أما كتابة [النجوة] بالواو فلانها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال الله تعالى : [ويا قوم مالى أدعوكم الى النجوة ^٢] و [أما الغدوة] قاعدة الازمان ؛ ومبدأ تصرف الانسان ، مشتقة من الغدو ، واما [المشكوة] قاعدة الهداية ، و مفتاح الولاية ؛ قال تعالى : [يهدى الله لنوره من يشاء] .

و أما [منوة] قاعدة الضلال ومفتاح الشرك والاضلال وقد وصفها الله بوصفين أحدهما يدل على تكثيرهم الاله من منى ، ومثلث .
و الثانى يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطل ومشبه .
[تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا] .

[٢] تبدل الألف ياء

وتكتب الألف ياء اذا كانت عن ياء نحو [يتوفىكم] فى اسم أو فعل اتصل به ضمير أم لا ، لقي ساكنا أم لا ومنه يا حسرتى ؛ يا أسنى ، الا تراء ،

(١) سورة الروم : رقم : ٣٩

(٢) سورة المؤمن رقم ٤١

(٣) سورة النور رقم : ٣٥

مورد الظمان في علوم القرآن

وكلنا ، وهداني ، و من عصاني ، والاقصا ، وأقصا المدينة ، وطنا الماء ،
وسبام ، والا ما قبلها يا كاللنيا والحوايا ؛ الا يحي اسما او فعلا وكذلك
ترسم الالف يا في هذه الكلمات [إلى] و [على] و [أنى] بمعنى كيف
و [متى] و [بلى] و [حتى] و [لدى] الا لدا الباب .

[٣] تبدل بالالف الواو الثلاثي

ويكتب بالالف الثلاثي الواو اسما أو فعلا نحو : الصفا وشفاء وعفا
الاضحى كيف وقع ، وما زكى منكم ، ودحاما وتلاما وطحاما وسجا .
[٤] تبدل بالالف نون التوكيد الخفيفة

و تكتب بالالف نون التوكيد الخفيفة ، و اذا و بالنون كائن . وتكتب
بالهاء هاء التانيث إلا أن هناك كلمات خرجت عن هذا الأصل : فتكتب بالهاء
المجرورة [المفتوحة] فمن ذلك لفظ [رحمة] في سبعة مواضع وهي :

- ١ - [أولئك يرجون رحمت الله^١] .
- ٢ - [ان رحمت الله قريب من المحسنين^٢] .
- ٣ - [رحمت الله وبركاته^٣] .
- ٤ - [ذكر رحمت ربك^٤] .

(١) سورة البقرة رقم : ٢١٨

(٢) سورة الاعراف رقم : ٥٦

(٣) سورة هود رقم : ٧٣

(٤) سورة مريم رقم : ٢

- ٥ - [فانظر إلى آثار رحمت الله^١] .
- ٦ - [أم يقسمون رحمت ربك^٢] .
- ٧ - [ورحمت ربك خير مما يجمعون^٣] .

ومن ذلك لفظ [نعمة] في أحد عشر موضعا : وهي [د ت ، تبدل ما ، في الوقف]

- ١ - [واذكروا نعمت الله عليكم^٤] .
- ٢ - [واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء^٥] .
- ٣ - [يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم^٦] .
- ٤ - [ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كफرا^٧] .
- ٥ - [وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها^٨] .
- ٦ - [وبنعمت الله هم يكفرون^٩] .

- (١) سورة روم رقم : ٥٠
- (٢) كلاهما بسورة الزخرف رقم ٣٢ وقد رتبناها على حسب ترتيب المصحف .
- (٣) سورة البقرة رقم : ٢٣١
- (٤) سورة آل عمران رقم : ١٠٣
- (٥) سورة المائدة رقم : ١١
- (٦) سورة ابراهيم رقم : ٢٨
- (٧) سورة ابراهيم رقم : ٣٤
- (٨) سورة النحل رقم : ٧٢

- ٧ - [يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها^١] .
- ٨ - [واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون^٢] .
- ٩ - [ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله^٣] .
- ١٠ - [يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم^٤] .
- ١١ - [فما أنت بنعمت ربك بكامن ولا مجنون^٥] .

والحكمة في ذلك أن الحاصلة بالفعل في الوجود تمتد ، نحو قوله في إبراهيم : [وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها] بدليل قوله تعالى : [ان الانسان لظلوم كفار] فهذه نعمة متصلة بالظلوم الكفار تنزيلها . وهذا بخلاف التي في سورة النحل [وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها] كتبت مقبوضة لانها بمعنى الاسم بدليل قوله تعالى : [ان الله لغفور رحيم] فهذه نعمة وصلت من الرب عز وجل فهي ملكوتية ؛ ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الانسان ومن ذلك [كلمة] في موضع واحد وهو :

١ - [وتمت كلمت ربك الحسنى^٦] .

-
- (١) سورة النحل رقم : ٨٣
 - (٢) سورة النحل رقم : ١١٤
 - (٣) سورة لقمان رقم : ٣١
 - (٤) سورة الفاطر رقم : ٣
 - (٥) سورة الطور رقم : ٢٩
 - (٦) سورة الاعراف رقم : ١٣٧

ومن ذلك [سنة] في خمسة مواضع وهي :

- ١ - [فقد مضت سنت الأولين^١] .
- ٢ - [سنت من قد أرسلنا قبلك من رسلنا^٢] .
- ٣ - [فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا .
- ٥ - [ولن تجد لسنت الله تحويلا^٣] .

والحكمة في ذلك أنها بمعنى الاملاك والانتقام الذي في الوجود .
وما يدل على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها [إن يفتنوا يفسدوهم
ما قد سلف^٤] .

وقوله بعدما [وقاتلوم حتى لا تكون فتنة^٥] .

ومكذا الشأن في [سنة] في مواضعها الخمسة المذكورة و من ذلك
[بقيت] في موضع واحد وهو :

- ١ - [بقيت الله^٦] .

والحكمة في ذلك لأنها بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح المحسوس ،

(١) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٧

(٣) ثلاثها في فاطر رقم : ٤٣

(٤) سورة الانفال رقم : ٣٨

(٥) سورة الانفال رقم : ٣٩

(٦) سورة هود رقم : ٨٦

لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

ومن ذلك [فطرت] في موضع واحد وهو :

١ - [فطرت الله التي فطر الناس عليها] والحكمة في ذلك وصفها بأنها فطر

الناس عليها ، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء في الحديث [كل

مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجسانه] .

ومن ذلك [قرت] في موضع واحد وهو :

١ - [قرت عين لي ولك]^٢ والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل إذ هو خبر

عن موسى ، وهو موجود حاضر في الملك وهذا بخلاف [قرأ أعين]^٣

فإنها هنا بمعنى الاسم ؛ وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر .

ومن ذلك [معصيت] في موضعين وهما :

١ - ٢ - [ومعصيت الرسول وإذا جاءوك] [و معصيت الرسول و تناجوا]

كلاهما بسورة المجادلة . والحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل .

والتقدير : ولا تتناجوا بأن تعصوا الرسول ، ونفس هذا النجو

الواقع منهم في الوجود هو فعل معصية لوقوع النهي عنه .

ومن ذلك [اللعنة] في موضعين وهما : في آية المباشلة ، وفي

آية اللعان :

(١) سورة الروم رقم : ٣٠

(٢) سورة القصص رقم : ٩

(٣) سورة الفرقان رقم : ٧٤

مورد الظمان في علوم القرآن

- ١ - [ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين^١] .
- ٢ - [والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين^٢] والحكمة في ذلك كونها بمعنى الفعل ظاهر .
- و من ذلك [شجرت] في موضع واحد وهو :

- ١ - [ان شجرت الزقوم^٣] و الحكمة في ذلك لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تزقيها بالأكل ، بدليل قوله تعالى : [في البطون] فهذه صفة فعل كما في الواقعة : [لآكلون من شجر من زقوم^٤] . و هذا بخلاف قوله : [أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم] في الصفات فان هذه وصفها بانها : [قنة للظالمين^٥] .

- [وانها تخرج في أصل الجحيم^٦] فهو حلية للاسم ؛ فلذلك قبضت تاوؤما .
- و من ذلك [جنت] في موضع واحد وهو :

- ١ - [وجنت نعيم^٧] و الحكمة في ذلك كونها بمعنى فعل التنعم بالنعيم ،

(١) سورة آل عمران رقم : ٦١

(٢) سورة النور رقم : ٧

(٣) سورة الدخان رقم : ٤٣

(٤) سورة الواقعة رقم : ٥٢

(٥) سورة الصفات رقم : ٦٣

(٦) سورة الصفات رقم : ٦٤

(٧) سورة الواقعة رقم : ٨٩

بدليل اقترانها بالروح و الريحان و تاخرها عنهما و هما من الجنة ؛ فهذه
جنة خاصة بالمنعم بها .

و أما [من ورثة جنة النعيم^١] و [أن يدخل جنة نعيم^٢] فان هذا
بمعنى الاسم الكلى ؛ و لم تمد [تصليية جحيم^٣] لأنها اسم ما يفعل بالكذب
في الآخرة ، أخبرنا الله بذلك ، فالؤمن يعلمه تصديقا ، و لا يحذف لفعل
أبدا ، والضابط لذلك : أن ما كان بمعنى الاسم لم تمد تاؤه ، مثل : [زهرة
الحياة الدنيا^٤] و [صبغة الله^٥] و [زلزلة الساعة^٦] و [تحلة أيمانكم^٧] و [رحلة
الشتاء والصيف^٨] و [حمالة الحطب^٩]

و من ذلك [ابنت] في موضع واحد و هو :

١ - [ومريم ابنت عمران^{١٠}] والحكمة في ذلك التنبيه على معنى الولادة

(١) سورة الشعراء رقم : ٨٥

(٢) سورة المعارج رقم : ٣٨

(٣) سورة الواقعة رقم : ٩٤

(٤) سورة طه رقم : ٣١

(٥) سورة البقرة رقم : ١٣٨

(٦) سورة الحج رقم : ١

(٧) سورة التحريم رقم : ٢

(٨) سورة قريش رقم : ١

(٩) سورة المسد رقم : ٤

(١٠) سورة التحريم رقم : ١٢

والحدوث من النطفة المهيته ، ولم يصف في القرآن ولد إلى والد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليها السلام ، لما اعتقد النصارى فيها أنها الهان ؛ فنبه سبحانه بإضافتها الولادية على جهة حدوثها بعد عدمها حتى أخبر الله تعالى في موطن بصفة الإضافة دون الموصوف وقال : [وجعلنا ابن مريم وأمه آية^١] - لما غلوا في الوهية أكثر من أمه كما نبه تعالى على حاجتهما وتغير أحوالهما في الوجود ، يلحقها ما يلحق البشر ، قال تعالى : [كاتا ياكلان الطعام^٢] .

ومن ذلك [امرأت] في سبعة مواضع وهي :

- ١ - [اذ قالت امرأت عمران^٣] .
- ٢ - [وقال نوسة في المدينة امرأت العزيز^٤] .
- ٣ - [قالت امرأت العزيز^٥] .
- ٤ - [وقالت امرأت فرعون^٥] .
- ٥ - [امرأت نوح^٦] .

(١) سورة المؤمنون رقم : ٥٠

(٢) سورة المائدة رقم : ٧٥

(٣) سورة آل عمران رقم : ٣٥

(٤) كلاهما في سورة يوسف رقم : ٣٠ ، ٥١

(٥) سورة القصص رقم : ٩

(٦) سورة تحریم رقم : ١٠

٦ - امرأت لوط ١ .

٧ - امرأت فرعون ١ .

ومن خمس من النساء كلها ممدودة تنبئها على فعل التبعل والصحبة
وشدة المواصلة والمخالطة والامتلاف في الوجود والمحسوس . وأربع منهن
منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن . و واحدة خاصة واصلت
بعلها باطنا وظاهرا و هي امرأت عمران فجعل الله لها ذرية طيبة وأكرمها
بذلك وفضلها على العالمين و واحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلها
طاعة لله وتوكلا عليه وخوفا منه فنجاما و أكرمها و هي امرأت فرعون .
واثنتان منهن انفصلتا عن أزواجهن كفرا بالله فأملكهما الله ودمرهما ولم ينفعها
بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله كما لم تضر امرأت
فرعون وصلتها الظاهرة بأخبث عبيد الله . و واحدة انفصلت عن بعلها بالباطن
اتباعا للهوى وشهوة نفسها فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمكنها من الدنيا
واستيلائها على من مالت إليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها وتحت يديها فلم يغن
ذلك عنها شيئا . وقوتها و عزتها إنما كانت لها من بعلها [العزیز] ولم ينفعها
ذلك في الوصول إلى ارادتها مع عظيم كيدها . كما لم يضر يوسف ما امتحن
به منها ؛ و نجاه الله من السجن و مكن له في الأرض و ذلك بطاعته
لربه . و لا سعادة الا بطاعة الله ، و لا شقاوة الا بمعصيته ؛ فهذه كلها خبر
وقعت بالفعل في الوجود في شان كل امرأة منهن فلذلك مدت تاءاتهن .

(١) سورة التحريم رقم : ١٠-١١

مورد الظمان في علوم القرآن

القاعدة الخامسة : في الوصل والفصل

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط ، كما تفصل كلمة عن كلمة .

فمن ذلك [إنما] بالكسر كله موصول إلا واحدا [إن ما توعدون لآت^١] . لأن حرف [ما] هنا وقع على مفصل فنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر ، فمعنى [ما] مفصول في الوجود والعلم .

ومن ذلك [إنما] بالفتح كله موصول إلا حرفان :

١ - [وأن ما يدعون من دونه هو الباطل^٢] .

٢ - [وأن ما يدعون من دونه الباطل^٣] .

وقع الفصل عن حرف التوكيد ، إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود إنما وصلها في العدم والنفي ، بدليل قوله تعالى : عن المؤمن [أنما تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة] . فوصل [أنما] في النفي وفصل في الإثبات ، لاتصاله عن دعوة الحق .

(١) سورة الأنعام رقم : ١٣٤

(٢) سورة الحج رقم : ٦٢

(٣) سورة لقمان رقم : ٣٠

(٤) سورة غافر رقم : ٤٣

مورد الظمان في علوم القرآن

ومن ذلك [كلما] موصول كله إلا ثلاثة هي :

١ - [كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها] .

فما ردوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود ، بل أنواع مختلفة في الوجود ،
وصفة مردم ليست واحدة بل متنوعة ، فانفصل [ما] لأنه لعموم
شيء مفصل في الوجود .

٢ - [وآناكم من كل ما سالتموه^١] فخر [ما] واقع على أنواع مفصلة
في الوجود .

٣ - [كل ما جاء أمة رسولها كذبوه^٢] والامم مختلفة في الوجود ، فخر
[ما] واقع على تفاصيل موجودة لتفصل .

وهذا بخلاف قوله : [كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم] :
فان هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة بدليل قوله [فلم تقتلون أنبياء الله^٣] -
والمخاطبون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما باشره
آباؤهم ، لكن مذهبهم في ذلك واحد وهو - الغدر والخيانة - فخر [ما]
إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود إلا بالقرض

(١) سورة النساء رقم : ٩١

(٢) سورة إبراهيم رقم : ٣٤

(٣) سورة المؤمنون رقم : ٤٤

(٤) سورة المائدة رقم : ٧٠

(٥) سورة البقرة رقم : ٩١

والتوهم ؛ لا بالحس فوصلت [كل] لاتصال الأزمته في الوجود ، وتلازم أفرادها المتوهمه .

وكذلك : [كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا^١] هذا موصول لأن حرف [ما] جاء لتعميم الأزمته ؛ فلا تفصيل فيها في الوجود وما رزقوا غير مختلف ، لقوله تعالى : [وأتوا به متشابها] .

ومن ذلك [أينما] موصول إذا كانت [ما] غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها ؛ مثل : [أينما يوجهه^٢] [فأيما تولوا^٣] [أينما ثقفوا أخذوا^٤] [أينما تكونوا يدرككم الموت^٥] .

فهذه كلها لم تخرج [الأين] الملکی وهو متصل حسا ، ولم يختلف فيه الفعل الذي مع [ما] وتفصل [اين] حيث تكون [ما] مختلفة الأقسام في الوصف الذي بعدها مثل : [أين ما كنتم تعبدون^٦] (وهو معكم أين ما كنتم^٧) (أين ما ثقفوا الا بجبل من الله وجبل من الناس^٨) .

(١) سورة البقرة رقم : ٢٥

(٢) سورة النحل رقم : ٨٦

(٣) سورة البقرة رقم : ١١٥

(٤) سورة الاحزاب رقم : ٦١

(٥) سورة النساء رقم : ٧٨

(٦) سورة الشعراء رقم : ٩٢

(٧) سورة الحديد رقم : ٤

ومن ذلك : [بئس ما] مفصول الا حرفين باتفاق وحرف مختلف فيه :
أما الحرفان الموصولان باتفاق جميع النقلة فهما :

- ١ - [بئسما اشتروا به أنفسهم] .
- ٢ - [بئسما خلقتهم من بعدى] .

و اما الحرف المختلف فيه فهو [قل بئس ما يأمركم به إيمانكم] فحرف
[ما] ليس فيه تفصيل ، لانه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلا
مذموما على خلاف حال [ما] في المائدة : [ترى كثيرا منهم يسيرون في
الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون] فحرف [ما] يشتمل
على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل .

وكذلك : [لبئس ما قدمت لهم أنفسهم] حرف [ما] مفصول ،
لانه يعمل ما بعده من الأقسام . ومن ذلك : [يوم هم] في موضعين :
١ - [يوم هم بارزون] ظرفان فصل الضمير عنهما لانه مبتدأ ، وأضيف

= (٨) سورة آل عمران رقم : ١١٢

(١) سورة البقرة رقم : ٩٠

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٥٠

(٣) سورة البقرة رقم : ٩٣

(٤) سورة المائدة رقم : ٦٢

(٥) سورة المائدة رقم : ٨٠

(٦) سورة غافر رقم : ١٦

مورد الظمان في علوم القرآن

اليوم الى الجملة المنفصلة عنه . و اما [يومهم الذي فيه يصعقون^١]
و [يومهم الذي يوعدون^٢] وصل الضمير لانه مفرد ، فهو جزء الكلمة
المركبة . من اليوم المضاف والضمير المضاف إليه .

ومن ذلك [في ما] تفصل [في] عن [ما] في موضع واحد
اتفاقا وهو قوله تعالى : [اتركون في ما مهنا آمنين^٣] .

واختلف في عشرة مواضع وهي :

الاول : [في ما فعلن في أنفسهن من معروف^٤] .

الثاني : [ليلوكم في ما اتاكم^٥] .

الثالث : [في ما أوحى الى محرمات^٦] .

الرابع : [ليلوكم في ما اتاكم^٧] .

الخامس : [وهم في ما اشتبهت أنفسهم خالدون^٨] .

(١) سورة الطور رقم : ٤٥

(٢) سورة الزخرف رقم : ٨٣

(٣) سورة الشعراء رقم : ١٤٦

(٤) الموضع الثالث في البقرة رقم ٢٤٠

(٥) سورة المائدة رقم : ٤٨

(٦) سورة الانعام رقم : ١٤٥

(٧) سورة الانعام رقم : ١٦٥

(٨) سورة الانبياء رقم : ١٠٢

مورد الظمان في علوم القرآن

السادس : [في ما أفضم فيه عذاب عظيم^١] .

السابع : [من شركاء في ما رزقناكم^٢] .

الثامن : [في ما هم فيه يختلفون^٣] .

التاسع : [في ما كانوا فيه يختلفون^٤] .

العاشر : [وننشئكم في ما لا تعلمون^٥] .

وتوصل فيما عدا ذلك نحو : [فيما كانوا فيه يختلفون^٦] و [فيما فعلن

في أنفسهن بالمعروف^٧] .

ومن ذلك [كي لا] تفصل [كي] عن [لا] في ثلاثة مواضع وهي :

الاول : [لكي لا يعلم بعد علم شيئاً^٨] .

الثاني : [كي لا يكون على المؤمنين حرج^٩] .

(١) سورة النور رقم : ١٤

(٢) سورة الروم رقم : ٢٨

(٣) سورة الزمر رقم : ٣

(٤) سورة الزمر رقم : ٤٦

(٥) سورة الواقعة رقم : ٦١

(٦) الموضع الأول من البقرة آية ١١٣

(٧) الموضع الثاني من البقرة آية ٢٣٤

(٨) سورة النحل رقم : ٧٠

(٩) سورة الأحزاب رقم : ٣٧

الثالث : [كى لا يكون دولة بين الاغنيا^١] .
وما عدا ذلك فموصول :

ومن ذلك : [و إذا كالوم أو وزنوم يخسرون^٢]
فكتبنا موصولتين بدليل حذف الألف بعد الواو فيها فدل ذلك
على أن الواو فيها غير مفصولة : إتهى بتصرف .
ومن ذلك : [فمال] تفصل لام [مال] عن ما بعدما في أربعة
مواضع وهى :

الاول : [فمال هؤلاء القوم^٣] .

الثانى : [مال هذا الكتاب^٤] .

الثالث : [وقالوا مال هذا الرسول^٥] .

الرابع : [فمال الذين كفروا^٦] وما عدا ذلك فهو موصول :

ومن ذلك : [إبن أم^٧] و ما عداها فموصول وهو قوله تعالى [قال

(١) سورة الحشر رقم : ٧

(٢) سورة المطففين رقم : ٣

(٣) سورة النساء رقم : ٧٨

(٤) سورة الكهف رقم : ٤٩

(٥) سورة الفرقان رقم : ٧

(٦) سورة المعارج رقم : ٣٦

(٧) سورة الاعراف رقم : ١٥٠

يا بثوم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي^١

ومن ذلك ستة أحرف تفصل عنها بعدما حتميا وهي :

[الالف ، والواو ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي] لأنها

علامات لاتصالات ونهايات ، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة :

ومن ذلك : [عن ما] تفصل [عن] عن [ما] في موضع واحد وهو

[فلما عتوا عن ما نهوا عنه^٢] . وتوصل فيما عدا الموضع المذكور نحو [سبحانه

وتعالى عما يشركون^٣]

ومن ذلك : [من ما] تفصل [من] الجارة عن [ما] في ثلاثة

مواضع : وهي

١ - [من ما ملكت أيمانكم^٤] .

٢ - [هل لكم من ما ملكت أيمانكم^٥] .

٣ - [وأنفقوا من ما رزقناكم^٦] . وما عدا ذلك فموصول نحو :

[فويل لهم مما كتبت أيديهم^٧] .

(١) سورة طه رقم : ٩٤

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٦

(٣) سورة يونس رقم : ١٨

(٤) سورة النساء رقم : ٢٥

(٥) سورة الروم رقم : ٢٨

(٦) سورة المناقين رقم : ١٠

(٧) سورة البقرة رقم : ٧٩

ومن ذلك : [أم من] تفصل [أم] عن [من] في أربعة مواضع هي :

١ - [أم من يكون عليهم وكيلًا] .

٢ - [أم من أسس بنيانه] .

٣ - [أم من خلقنا] .

٤ - [أم من يأتي] وما عدا ذلك فوصول نحو : [أمن

يجيب المضطر إذا دعاه] .

وكذلك : [عن من] تفصل [عن] عن [من] في موضعين : هما

١ - [ويصرفه عن من يشاء] .

٢ - [فأعرض عن من تولى عن ذكرنا] .

ومن ذلك : [ومن] موصول كله نحو [فمن أظلم ممن اقترى على الله

كذبًا] .

(١) سورة النساء رقم : ٢٥

(٢) سورة التوبة رقم : ١٠٩

(٣) سورة الصافات رقم : ٣

(٤) سورة فصلت رقم : ٤٠

(٥) سورة النمل رقم : ٦٢

(٦) سورة النور رقم : ٤٣

(٧) سورة النجم رقم : ٢٩

(٨) سورة يونس رقم : ١٧

وكذلك : [و ان ما نرينك] تفصل [ان] عن [ما] في موضع واحد

وهو : [و ان ما نرينك بعض الذي نعدم^١] .

وما عداه فوصول : نحو [فاما نرينك بعض الذي نعدم^٢] .

و من ذلك [قالم] وصلت [ان] بـ [لم] في موضع واحد وهو :

[قالم يستجيوا لكم^٣] وفصلت فيما عدا ذلك نحو : [فان لم يستجيوا لك^٤] .

و من ذلك [الن] توصل [أن] بـ [لن] في موضعين وهما :

١ - [الن نجعل لكم موعدا^٥] .

٢ - [الن نجمع عظامه^٦] .

وتفصل فيما عدا مذين الموضعين نحو : [بل ظننتم أن لن ينقلب

الرسول والمؤمنون^٧] .

و من ذلك : كل ما في القرآن [ألا] فهو موصول الا عشرة مواضع

فهى مفصولة تكتب النون فيها باتفاق ، و ذلك حيث ظهر في الوجود صحة

(١) سورة الرعد رقم : ٤٠

(٢) سورة غافر رقم : ٧٧

(٣) سورة هود رقم : ١٤

(٤) سورة القصص رقم : ٥٠

(٥) سورة الكهف رقم : ٤٨

(٦) سورة القيامة رقم : ٣

(٧) سورة الفتح رقم : ١٢

توكيد القضية ولزومها :

- الاول : [حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق^١]
- الثاني : [أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه^٢]
- الثالث : [وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه^٣]
- الرابع : [وأن لا اله الا هو فهل أتم مسليون^٤]
- الخامس : [أن لا تعبدوا الا الله^٥]
- السادس : [أن لا تشرك بي شيئا^٦]
- السابع : [أن لا تعبدوا الشيطان^٧]
- الثامن : [وأن لا تعلوا على الله^٨]
- التاسع : [أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين^٩]

(١) سورة الاعراف رقم : ١٠٠

(٢) سورة الاعراف رقم : ١٦٩

(٣) سورة التوبة رقم : ١١٨

(٤) سورة هود رقم : ١٤

(٥) سورة هود رقم : ٢٥

(٦) سورة الحج رقم : ٢٦

(٧) سورة يسين رقم : ٦٠

(٨) سورة الدخان رقم : ١٩

(٩) سورة القلم : رقم : ٢٤

العاشر : [أن لا يشركن بالله شيئا] .

واختلف في موضع واحد و هو قوله تعالى : [أن لا اله أنت

سبحانك^٢] فرسم في بعض المصاحف مفصولا و في بعضها موصولا .

أما [إن] مكسورة الهمزة فوصولة مع [لا] في جميع المصاحف

نحو : [الا تصروه فقد نصره الله^٣] .

ومن ذلك : [لام التعريف] المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها ،

لما كانت للتعريف - وشأن المعرف أن يكون أين وأظهر ، أظهرت في الخط

و وصلت بالكلمة ، لأنها صارت جزءا منها من حيث هي معرفة بها ، هذا هو

الأصل ، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل [الليل] فانه بمعنى مظلم

لا يوضح الأشياء بل يسترها و يخفيها ، وكونه واحدا اما للجزئي أو للجنس

فأخفى حرف تعريفه في مثله ، فان تعين للجزئي بالتأنيث رجع الى الأصل .

ومثل [الذى] و [التي] و تثنيتهما و جمعها ، فانه مبهم في المعنى والكم

لأن أول حده للجزئي و للجنس للثلاث أو غيرها ، فقيه ظلمة الجهل كالليل .

ومثل [التي] في الايجاب ، فان لام التعريف دخلت على [لا]

النافية .

وفيه ظلمة العدم كالليل ، ففي هذه الظلمات الثلاث يخفى حرف

(١) سورة الممتحنة رقم : ١٢

(٢) سورة الانبياء رقم : ٨٧

(٣) سورة التوبة رقم : ٤٠

التعريف . وكذلك [الأيكة] نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام ، فاجتمعت للكلمتان ، فصارت [ليكة] علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى ، وذلك في حرفين :

أحدهما في الشعراء قوله [كذب أصحاب ليكة المرسلين^١] جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان ، وجعلها جملة فهي آخر قصة في السورة بدليل قوله [ان في ذلك لآية^٢] فافردما .

والثاني في ص قوله [وأصحاب ليكة أولئك الأحزاب^٣] جمع الأمم فيها بالقابهم وجعلهم جهة واحدة ، ثم آخر أمة فيها ووصف الجملة . قال تعالى : - [أولئك الأحزاب] . وليس الأحزاب ووصفا لكل منهم بل هو وصف جميعهم .

وجاء بالانقصال على الأصل حرفان نظير مذين الحرفين : أحدهما [وان كان أصحاب الأيكة لظالمين^٤] أفردم بالذكر والوصف والثاني [وأصحاب الأيكة^٥] جمعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كل منهم لا على الجملة ، قال تعالى : - [كل كذب الرسل^٥] فحيث يعتبر فيهم

(١) سورة الشعراء رقم : ١٧٦

(٢) سورة الشعراء رقم : ١٩٠

(٣) سورة ص رقم : ١٣

(٤) سورة الحجر رقم : ٧٨

(٥) سورة ق رقم : ١٤

مورد الظمان في علوم القرآن

التفصيل فصل لام التعريف، وحيث يعتبر فيهم التوصل وصل للتخفيف .
ومن ذلك : [لتخذت عليه أجرا] حذفت الألف ووصلت لأن
للعمل في الجدار قد حصل في الوجود فلزم الأجر ، واتصل به حكما ،
بخلاف : [لاتخذوك خبيلا] ليس فيه وصلة اللزوم .

كتابة فواتح السور

كتبوا [الم] و [الر] موصولا . إن قيل لم وصلوه والهجا مقطع
لا ينبغي وصله لأنه لو قيل لك : ما هجا [زيد] ؟ قلت : زاي ، ياء ، دال ،
و تكتبه مقطعا ، لتفرق بين هجا الحروف وقراءته . قيل إنما وصلوه لأنه
ليس هجا لاسم معروف ، وإنما هي حروف اجتمعت ، يراد بكل حرف معنى .
فإن قيل : لم قطعوا [حم عسق] ولم يقطعوا [المص] و [كهيعص] ؟
قيل حم قد جرت في أوائل سبع سور ، فصارت اسما للسور فقطعت
ما قبلها .

و جوزوا في (ق) و (صن) وجهين : - من جزمها فهما حرفان
ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظها .
القاعدة السادسة :

فيما فيه قراءتان فكتبت على إحداها ، و مرادنا غير الشاذ

(١) سورة الكهف رقم : ٧٧

(٢) سورة الاسراء رقم : ٧٣

من ذلك : مالك يوم الدين ، بخادعون ، وواعدنا ، و الصاعقة ،
والرياح ، و تفادوم ، و تظامرون ، و لا تقاتلوه و نحو ما . و لولا دفاع ،
فرمان ، طائرا في آل عمران والمائدة ، مضاعفة ونحو [عاقبت أيماكم ، الأوليان
لاستم ، قاسية] ، قياما للناس ، خطيأتكم ، في الاشراف ، طائفة ، حاشا لله ،
و سيعلم الكافر ، تزاور ، زاكية ، فلا تصاحبني ، لاتخذت ، مهادا ، وحرام
على قرية ، ان الله يدافع ، سكارى وما هم بسكارى ، المضغة عظاما ، فكسونا
العظام لحما ، سراجا ، بل ادارك ؛ و لا تصاعر ، ربنا باعد ؛ أساوره ، بلا ألف
في الكل ، و قد قرئت بها و بحذفها ، و غابت الجب ، و أنزل عليه آية في
الغيبوت ؛ و ثمرت من أكامها في فصلت و جمالات ، فهم على بينت ،
و هم في الغرفات آمنون . بالثاء ، و قد قرئت بالجمع و الافراد . و تقي بالياء
و لامب بالالف ، و يقض الحق بلا ياء ؛ و آتوني زبر الحديد بالنقط ننجي
من نشاء ، نتج المؤمنين ، بنون واحدة ، و الصراط كيف وقع ، و بصطة
في الاعراف و المصيطرون ، و مصيطر ، بالصاد لا غير . و قد تكتب الكلمة
صالحة للقراءتين نحو : فكهون بلا ألف و هي قراءة ؛ و على قراتها هي محذوفة
رسما لانه جمع تصحيح .

[فرع]

فيما كتب موافقا لقراءة شاذة من ذلك : - [ان البقر تشابه علينا]
أو كلما عامدوا عهدا ، ما بقي من الربوا ، و قرى بضم الباء و سكون الواو
و فلقاتلوكم ، انما طائرهم ، طائره في عنقه ، تساقط ، سامر ، و فصاله في عامين ،

مورد الظمان في علوم القرآن

عليهم ثياب سندس ؛ ختامه مسك ، فادخلى في جبادى .
وأما القراءات المختلفة المشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها
نحو : - أوصى ، ووصى و نجرى تحتها ، و من تحتها ، وسيقولون الله ،
و لله ، و ما عملت أيديهم ، و ما عملته . فكتابتها على نحو قراءته ، وكل
ذلك وجد في مصاحف الامام .

[فائدة]

كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها لا على صورة النطق
بها اكتفاء بشهرتها .

[فائدة أخرى]

هل تجوز كتابته بقلم غير العربى ؟ قال الزركشى : لم ار فيه كلاما
لأحد من العلماء . قال : ويحتمل الجواز لأنه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية
- و الاقرب المنع - كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ، ولقولهم : القلم
أحد اللسانين و العرب لا تعرف قلبا غير العربى ؛ و قد قال الله تعالى بلسان
عربى مبين - ٥١ .

[آراء العلماء في رسم المصحف]

للعلماء في رسم المصحف آراء ثلاثة هي :

الرأى الاول :

أنه توقيفى لا تجوز مخالفته و اليه ذهب الجمهور و قد سبق أن
بسطة القول [فى الشواهد] على ذلك من أقوال العلماء .

مورد الظمان في علوم القرآن

الرأى الثانى :

أن رسم المصاحف اصطلاحى لا توقيفى ، و عليه فتجوز مخالفته و من جنح الى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته . و من تحمس له القاضى أبوبكر فى الانتصار اذ يقول ما نصه : - و أما الكتاب فلم يفرض الله على الامة فيها شيئا ؛ اذ لم يأخذ على كتاب القرآن و خطاط المصاحف لا رسما بعينه دون غيره أوجه عليهم و ترك ما عداه ، اذ وجوب ذلك لا يدرك الا بالسمع و التوقيف . و ليس فى نصوص الكتاب و لا مفهومه أن رسم القرآن و ضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص و حد محدود لا يجوز تجاوزه ، و لا فى نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه ، و لا فى اجماع الامة ما يوجب ذلك و لا دلت عليه القياسات الشرعية . بل السنة دلت على جواز رسمه بأى وجه سهل لان الرسول صلى الله عليه و سلم كان يأمر برسمه و لم يبين لهم وجهها معينا و لا نهى أحدا عن كتابته و لذلك اختلفت خطوط المصاحف فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ و منهم من كان يزيد و ينقص لعلمه بان ذلك اصطلاح و ان الناس لا يخفى عليهم الحال . و لاجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية و الخط الاول و أن يجعل اللام على صورة الكاف ، و أن تعوج الالامات و ان يكتب على غير هذه الوجوه ، و جاز أن يكتب المصحف بالخط و الهجاء القديمين ؛ و جاز أن يكتب بالخطوط و الهجاء المحدثه ، و جاز أن يكتب بين ذلك .

و بالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص عليه

مورد الظمان في علوم القرآن

أن يقيم الحجة على دعواه . وأنى له ذلك ؟ . ؟ ١ هـ بتلخيص .
ونزیدك هنا معرفة ما ذكره العلامة ابن المبارك نقلا عن العارف
بالله شيخه عبد العزيز الدباغ اذ يقول في كتابه الابريز ما نصه : [رسم القرآن
سر من اسرار الله المشاهدة وكال الرفعة] .

قال ابن المبارك فقلت له : هل رسم الواو بدل الالف في نحو
[الصلاة] والزكاة ، والحياة ، ومشكاة ، وزيادة الواو في [ساوريكم ، وأولئك ،
وأولاء ، وأولات] وكالبا في نحو [هديهم ، وملائه ، وبأيكم ، وبأييد] .
هذا كله صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم أو من الصحابة ؟
فقال : هو صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمر
الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على
ما سمعوه من النبي] .

فقلت له : ان جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم وقالوا : انما
هو اصطلاح الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية .
وانما صدر ذلك من الصحابة ؛ لأن قريشا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ،
وأهل الحيرة ينطقون بالواو في الربا ، فكتبوا على وفق منطقهم . وأما قريش
فانهم ينطقون فيه بالالف ، وكتابتهم له بالواو على منطق غيرهم و تقليد لهم ،
حتى قال القاضي ابو بكر الباقلاني : كل من ادعى يحب على الناس رسم
مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه ، فانه ليس في الكتاب
ولا في السنة ولا في الاجماع ما يدل على ذلك ؟

فقال ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف و نقصانها ؛ لأسرار لا تهتدى إليها العقول ، وهو سر من الاسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية . وكما أن نظم القرآن معجز ، فرسمه أيضا معجز . وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الألف في [مائة] دون [قئة] وإلى سر زيادة الياء في بأيد ، وبأيكم ؟ أم كيف تتوصل الى سر زيادة الألف في [سعوا] بالحج ونقصانها من سعوا في سبا ؟ وإلى سر زيادتها في [آمنوا] واسقاطها من [باؤ] ، [جاؤ] ، (تبوؤ) ، (فاؤ) بالبقرة ؟ وإلى سر زيادتها في (يعفوا الذي) ونقصانها من (يعفو عنهم) في النساء ؟ أم كيف تبلغ العقول الى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الألف من (قرءانا) يوسف والزخرف ، واثباتها في سائر المواضع ؟ .

و اثبات الألف بعد واو (سموات) في فصلت وحذفها من غيرهما . و اثبات الألف في (الميعاد) ، (مطلقا) ، وحذفها من الموضع الذي في الانفال ، و اثبات الألف في سراجا حيثما وقع ، وحذفها من موضع الفرقان ؟ وكيف تتوصل الى فتح بعض التاءات وربطها في بعض ؟ فكل ذلك لأسرار الهية ، وأغراض نبوية ، وإنما خفيت على الناس لأسرار باطنية لا تدرك الا بالفتح الرباني ، فهي بمنزلة الالفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل

السور ، فان لها أسراراً عظيمة ، ومعاني كثيرة : وأكثر الناس لا يهتدون الى أسرارها ، ولا يدركون شيئاً من المعاني الالهية التي أشير اليها : فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف .

وأما قول من قال : ان الصحابة اصطالحوا على أمر الرسم المذكور ، فلا يخفى ما في كلامه من البطلان ، لأن القرآن كتب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه ، وحيث فلا يخلو ما اصطالح عليه الصحابة ، اما أن يكون هو عين الهيئة أو غيره فان كان عينها بطل الاصطلاح ، لأن أسبقية النبي صلى الله عليه وسلم تنافي ذلك و توجب الاتباع . وان كان غير ذلك فكيف يكون النبي صلى الله عليه وسلم كتب على هيئة كهية الرسم القياسي مثلاً ، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى ؟ اذن فلا يصح ذلك من وجهين : أحدهما : نسبة الصحابة الى المخالفة ، وذلك محال .

ثانيهما : أن سائر الامة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا نقصان حرف منه . وما بين الدفتين كلام الله عز وجل ، فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أثبت ألف الرحمن والعالمين مثلاً ، ولم يزد الألف في [مائة] ولا في [ولأضعوا] ولا الياء في [بأيد] ونحو ذلك ، والصحابة عاكسوه في ذلك وخالفوه ، لزوم أنهم - وحاشاهم من ذلك - تصرفوا في القرآن بالزيادة والنقصان ، ووقعوا فيما أجمعوا هم وغيرهم على ما لا يحل لأحد فعله ، ولزوم تطرق الشك الى جميع ما بين الدفتين .

ثم قال ابن المبارك بعد كلام ، فقلت له : فان كان الرسم توقيفا
يوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فانه كالألفاظ القرآن فلم لم ينقل تواترا حتى
ترقع عنه الريبة وتطمئن به القلوب كالألفاظ القرآن ؟ فانه ما من حرف الا
وقد نقل تواترا لم يقع فيه خلاف و لا اضطراب وأما الرسم فانه إنما نقل
بالآحاد ، كما يعلم من الكتب الموضوعة فيه ، و ما نقل بالآحاد وقع
الاضطراب بين النقلة في كثير منه وكيف تضيع الأمة شيئا من الوحي ؟
فقال : [ما ضيعت الأمة شيئا من الوحي] .

و القرآن بحمد الله محفوظ ألفاظا ورسمًا : فأهل العرفان والشهود
والعيان ، حفظوا ألفاظه ورسمه ، ولم يضيعوا منها شعرة واحدة ، وأدركوا
ذلك بالشهود والعيان الذي هو فوق التواتر . وغيرهم حفظوا ألفاظه
الواصلة اليهم بالتواتر . واختلافهم في بعض حروف الرسم لا يقدح ولا يصير
لامة مضية كما لا يضر جهل العامة بالقرآن و عدم حفظهم لألفاظه . . .
الرأى الثالث :

يميل صاحب التبيان ومن قبله صاحب البرهان الى ما يفهم من كلام
العز بن عبد السلام ، من أنه يجوز بل يجب كتابة المصحف الآن لعامة
الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم ولا تجوز كتابته لهم بالرسم
العثماني الأول ، لتلا يوقع في تغيير من الجهال ولكن يجب في الوقت نفسه
المحافظة على الرسم العثماني ، كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح ،
فلا يهمل مراعاة لجهل الجاهلين بل يبقى في أيدي العارفين الذين لا تخلو

مورد الظمان في علوم القرآن

منهم الأرض وماك عبارة التيان في هذا المقام إذ يقول ما نصه :

وأما كتابته [أي المصحف] على ما أحدث الناس من الهجاء فقد جرى عليه أهل المشرق ، بناء على كونها أبعد عن اللبس ، وتحاشاء أهل المغرب بناء على قول الامام مالك وقد سئل . هل يكتب المصحف على ما أحدث الناس من الهجاء ؟ فقال [لا] الا على الكتابة الاولى .

قال في البرهان : قلت : وهذا كان في الصدر الاول ، والعلم حتى غرض .
وأما الآن فقد يخشى الالتباس ، ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :
لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسم الاول باصطلاح الأئمة
لئلا يوقع في تغيير من الجهال . ولكن لا ينبغي اجراء هذا على اطلاقه ،
لئلا يودى الى دروس العلم . وشي . قد أحكمته الصحابة لا يترك مراعاة
لجهل الجاهلين . [ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجة] ٥١ .

أقول هذا الرأي يقوم على رعاية الاحتياط للقرآن من ناحيتين : -
ناحية كتابته في كل عصر بالرسم المعروف فيه ، ابعادا للناس عن اللبس
والخلط في القرآن الكريم ، وناحية ابقاء رسمه الاول المأثور ، يقرؤه
العارفون و من لا يخشى عليهم الالتباس . ولا شك أن الاحتياط مطلوب
ديني جليل خصوصا في جانب حماية التنزيل .

مورد الظمان في علوم القرآن

مزاياء الرسم العثماني

ذكر العلماء في هذا الرسم العثماني مزاياء وفوائد عديدة نورد أهمها

فيما يلي :-

الفائدة الأولى

الدلالة في القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة بقدر الامكان ،
وذلك أن قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر ،
كتبت بصورة تحتل هاتين القراءتين أو الأكثر . فان كان الحرف الواحد
لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء
الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل . وذلك ليعلم جواز القراءة
به وبالحرف الذي هو الأصل . وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف
الأصل ، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل .
وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به مثال الكلمة
تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى [إن هذان لساحران]
رسمت في الصحف العثماني هكذا [ان هذان لساحران] من غير نقط
ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف في نوني ان وهذان ، و من غير ألف
ولا ياء بعد الذال من [هذان] .

ومجيء الرسم كما ترى ، كان صالحاً عندهم لأن يقرأ بالوجوه الأربعة

التي وردت كلها بأسانيد صحيحة .

[أولها] قراءة نافع وابن عامر وشعبة والآخرين . بتشديد نون
[ان] وفتحها ، [مضان] بالآلف مع تخفيف النون .

[ثانيها] : قراءة ابن كثير بإسكان نون [إن] ، [مضان] بالآلف
مع تشديد النون والمد المشبع للساكين وصلا ووقفا .

[ثالثها] : رواية حفص بإسكان نون [إن] ، [ومضان] بالآلف
مع تخفيف النون .

[رابعها] : قراءة أبي عمرو بتشديد نون [إن] وفتحها ، [مضان]
بالياً مع تخفيف النون .

فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أن سلفنا
الصالح كان في قواعد رسمه للصحف أبعد منا نظرا وأهدى سيلا .

الفائدة الثانية :

أفادة المعاني المختلفة بطريقة تكاد تكون ظاهرة و ذلك نحو قطع كلمة
[أم] في قوله تعالى : [أم من يكون عليهم وكلا] و وصلها في قوله تعالى :
[أمن يمشى سويا على صراط مستقيم] إذ كتبت هكذا [أمن] بادغام الميم
الأولى في الثانية وكتابتها ميم واحدة مشددة فقطع أم الأولى في الكتابة
للدلالة على أنها أم المنقطعة التي بمعنى بل . ووصل أم الثانية للدلالة على
أنها ليست كذلك .

الفائدة الثالثة :

الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة [أبد] من قوله تعالى [والسما بيناما بأييد] إذ كتبت هكذا [بأييد] وذلك للإيحاء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء و أنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهي : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

الفائدة الرابعة :

الدلالة على أصل الحركة مثل كتابة الكسرة ياء في قوله تعالى : [وإيتاء ذى القربى] إذ تكتب هذا [وإيتاء ذى القربى] ومثل كتابة الضمة واوا في قوله سبحانه : [سأريكم دار الفاسقين] إذ كتبت هكذا [سأوريكم] ومثل ذلك الدلالة على أصل الحرف نحو الصلاة و الزكاة إذ كتبنا هكذا [الصلاة] [الزكاة] ليفهم أن الالف فيها منقلبة عن واو .

الفائدة الخامسة :

إفادة بعض اللغات الفصيحة ، مثل كتابة هاء التانيث تا مفتوحة دلالة على لغة طى ، وقد تقدمت الأمثلة لهذا النوع . ومثل قوله تعالى : [يوم يأتى لا تكلم نفس الا بأذنه] كتبت بحذف الياء هكذا [يات] للدلالة على لغة هذيل .

الفائدة السادسة :

حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور ثقات الرجال

مورد الظمان في علوم القرآن

ولا يتكلموا على هذا الرسم العثماني الذي جاء غير مطابق للنطق الصحيح في الجملة:

و إني وإن كنت قد أظنبت في باب [مرسوم الخط] فمعتذرة لأن كلام العلماء فيه طويل و شائك : و ما حملني على الاطالة فيه إلا أني أردت أن أخلص الورد من الشوك .

هذا والله أعلى و أعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير و التأويل)

التفسير في اللغة :

تقبيل من الفسر وهو اليان والكشف ويقال هو مقلوب السفر
تقول أسفر الصبح : إذا أضاء و قيل مأخوذ من التفسرة و هى اسم لما يعرف
به الطبيب المرض .

و التفسير فى الاصطلاح :

عرفه أبو حيان بأنه : [علم يبحث عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ،
و مدلولاتها ، و احكامها الافرادية و التركيبية و معانيها التى تحمل عليها حالة
التركيب و تنمات لذلك .

وقال الزركشى : التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه
محمد صلى الله عليه و سلم ، و يبان معانيه و استخراج احكامه و حكمه .
والتأويل فى اللغة :

أصله من الاول ، و هو الرجوع الى الاصل ، فكانه صرف الآية
الى ما تحتمله من المعانى و قيل من الايالة و هى السياسة ، كان المؤول للكلام
ساس الكلام و وضع المعنى فيه موضعه .

مورد الظمان في علوم القرآن

والتاويل في عرف المتأخرين :

هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترب به - وهذا الاصطلاح لا يتفق مع ما يراد بلفظ التاويل في القرآن عند السلف .

(الفرق بين التفسير والتأويل)

اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتاويل على أقوال عديدة نورد أهمها فيما يلي :

١ - قيل :

إنهما بمعنى واحد ، ومنه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس [اللهم فقه في الدين وعلّمه التأويل] .

٢ - وقال الراغب :

التفسير أعم من التاويل ؛ وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ، وأكثر استعمال التاويل في المعاني والجمال ، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية ، وتاويل الرؤيا ، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها .

٣ - وقال غيره :

التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا ، والتاويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة الى واحد منها بما ظهر من الأدلة .

٤ - وقال الماتريدي :

التفسير : القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، و الشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا . فان قام دليل مقطوع به فصحيح ، والا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه .

و التاويل : ترجيح أحد الاحتمالات بدون القطع و الشهادة على الله .

٥ - وقال أبو طالب الثعلبي :

التفسير : بيان وضع اللفظ ، اما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر .

والتاويل : تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الامر . فالتاويل اخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير اخبار عن دليل المراد لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل ، مثاله قوله تعالى - [إن ربك لبالمرصاد] تفسيره : أنه من الرصد ، يقال رصدته : رقبته ، والمرصاد مفعال منه . و تاويله التحذير من التهاون بامر الله و الغفلة عن الآفة و الاستعداد للعرض عليه . وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة .

٦ - وقال الأصمعي في تفسيره :

اعلم ان التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن ، و بيان المراد

مورد الظمان في علوم القرآن

أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره بحسب المعنى الظاهر وغيره والتأويل أكثره في الجمل . والتفسير اما ان يستعمل في غريب الالفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة ، أو في وجيز تبيين لشرح نحو - أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واما في كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره الا بمعرفتها كقوله [انما النسيء زيادة في الكفر] وقوله [وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها] . وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري عز وجل خاصة . والايمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود .

٧ - وقيل :

التأويل كشف ما انغلق من المعنى ، ولهذا قال البجلي : التفسير يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية ، وهما راجعان الى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى .

٨ - وقال أبو نصر الفشيري :

التفسير مقصور على الاتباع والسمع والاستنباط بما يتعاق بالتأويل .

٩ - وقال قوم :

ما وقع مينا في كتاب الله ومعينا في صحيح السنة سمي تفسيرا لأن

مورد الظمان في علوم القرآن

معناه قد ظهر ووضح ، وليس لاحد أن يتعرض اليه باجتهاد و لا غيره ، بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه . و التاويل : ما استنبطه العلماء العالمون لمعانى الخطاب المأمرون فى آلات العلوم .

١٠ - وقال قوم منهم البغوى والكواشى :

التاويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط .

١١ - وقال بعضهم :

التفسير فى الاصطلاح علم نزول الآيات و شؤونها و أقاصيصها و الاسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيا و مدنيها و محكمها و متشابهها و ناسخها و منسوخها و خاصها و عامها و مطلقها و مقيدما و مجملها و مفسرما و حلالها و حرامها و وعدما و وعيدا و أمرما و نهيها و عبرما و أمثالا .

١٢ - وقال ابو حيان :

التفسير : علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن و مدلولاتها و أحكامها الافرادية و التركيبية و معانيها التى تحمل عليها حالة التركيب و تهمات لذلك مثل معرفة النسخ و سبب النزول و قصة توضح بعض ما أثير فى القرآن و نحو ذلك .

١٣ - وقال الزركشى :

التفسير : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم و بيان معانيه و استخراج أحكامه و حكمه و استمداد ذلك من علم اللغة

مورد الظمان في علوم القرآن

و النحر و التصريف و علم البيان و أصول الفقه و القراءات و يحتاج لمعرفة أسباب النزول و النسخ و المنسوخ . قال الامام أبو القاسم محمد بن حبيب النيسابوري رحمه الله : و قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير و التأويل ما اعتدوا إليه لا يحسنون القرآن تلاوة و لا يعرفون معنى السورة أو الآية ما عندهم الا التشنيع عند العوام لنيل ما عندهم من الخطام ، أعفوا أنفسهم من الكد و الطلب ، و قلوبهم من الفكر و التعب ، اذا سئلوا غضبوا و اذا تفرغوا هربوا ، القية رأس ما لهم ، و الخرق [الحق] و الطيش خير خصالهم ، يتحلون بما ليس فيهم ، و يتنافسون فيما يرفضهم ، الصيانة عنهم بمعزل ، و هم من الخنى و الجهل في جوف منزل . و قد قال صلى الله عليه و سلم : [المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور] . و قد قيل : من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان ، و جرى في السباق جرية كبت نفته الجياد عند الرمان .

قال حكي عن بعضهم أنه سئل عن [الحاقة] فقال : الحاقة : جماعة من الناس اذا صاروا في المجلس قالوا : كنا في الحاقة : و قال آخر : في قوله تعالى : [يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء اقلعي^١] قال : أمر الأرض باخراج الماء ، و السماء بصب الماء وكأنه على القلب . و عن بعضهم في قوله تعالى : [و اذا الموءدة سئلت^٢] قال : إن الله ليسألكم عن الموءدات فيما بينكم

(١) سورة هود رقم : ٤٤

(٢) سورة التكوين رقم : ٨

مورد الظمان في علوم القرآن

في الحياة الدنيا . وقال آخر في قوله تعالى : [فليتنافس المتنافسون^١] قال :
إنهم تعبوا في الدنيا ، فاذا ادخلوا الجنة تنعموا .

قال أبو القاسم : سمعت أبي يقول : سمعت علي بن محمد الوراق
يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : أفواه الرجال حوائيتها وألسانها
صنائعها ، فاذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من اليطار ، والثمار من
الزمار ، والله المستعان على سوء الزمان وقلة الأعوان .

وأما وجه الحاجة إليه : ان القرآن انما نزل بلسان عربي في زمن أفصح
العرب ، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم
بعد البحث والنظر مع سؤا لهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر سؤا لهم
لما نزل قوله : [و لم يلبسوا إيمانهم بظلم] فقالوا : وأينا لم يظلم نفسه ، قسره
النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى [ان الشرك
لظلم عظيم] . وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال : ذلك العرض .
وكقصه عدى بن حاتم في الخطب الأبيض والأسود وغير ذلك مما سألوا
عن آحاد منه ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك
بما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير
تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير . ومعلوم ان تفسير بعضه
يكون من قبل الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض
الاحتمالات على بعض . ١٠

(١) سورة المطففين رقم : ٢٦

و قال الخويبي : علم التفسير عسر يسير ، أما عسره فظاهر من وجوه
أظهرها أنه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسماع منه ولا امكان
الوصول اليه ، بخلاف الامثال والأشعار ونحوها فان الانسان يمكن عليه
منه إذا تكلم بان يسمع منه أو بمن سمع منه . و أما القرآن فتفسيره
على وجه القطع لا يعلم الا بان يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم
و ذلك متعذر إلا في آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل
والحكمة فيه أن الله تعالى اراد أن يفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه
بالتنصيص على المراد في جميع آياته . و أما شرفه فلا يخفى ، قال تعالى :
[يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا] .

و أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة عن ابن
عباس في قوله تعالى : يؤتى الحكمة - قال : المعركة بالقرآن وناسخه ومنسوخه ،
ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

و أخرج ابن مردويه من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس
مرفوعا - يؤتى الحكمة - قال : القرآن . قال ابن عباس : يعنى تفسيره .
وأخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا [أعربوا القرآن والتمسوا
غرائبه] الى غير ذلك من الأحاديث الواردة في شرف - تفسير القرآن .
وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم
الثلاثة الشرعية .

و قال الاصبهاني : أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن .

يان ذلك أن شرف الصناعة : اما بشرف موضوعها مثل الصباغة فانها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصباغة الذهب و الفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة ، الذي هو جلد الميتة . و اما بشرف غرضها مثل صناعة الطب ، فانها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح . وإما بشدة الحاجة اليها كالفقه ، فان الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب . إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق الا وهي مفتقرة الى الفقه ، لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين ، بخلاف الطب فانه يحتاج اليه بعض الناس في بعض الاوقات . اذا عرف ذلك فصناعة التفسير . قد حازت الشرف من الجهات الثلاث .

أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه .

و أما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول الى السعادة الحقيقية التي لا تقنى .

و أما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلى مفتقر إلى العلوم الشرعية و المعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

(شروط المفسر و آدابه)

قال العلماء :

من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه . وقد ألف ابن الجوزي كتابا فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر منه . فإن أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له .

وقد قال الشافعي رضي الله عنه : كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بما فهمه من القرآن . قال تعالى : [انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله] .

وقال صلى الله عليه وسلم : [ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه] يعني السنة . فان لم يجد في السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدري بذلك لما شامدوه من القرائن والأحوال عند نزول القرآن ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ؛ وقد روى الحاكم في المستدرک :

(١) سورة النساء رقم : ١٠٥

مورد الظمان في علوم القرآن

أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتزل له حكم المرفوع . وقد ذكر العلماء في المفسر شروطا عديدة نورد أهمها فيما يأتي :

١ - صحة الاعتقاد :

فان العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها وكثيرا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الاخبار فاذا صنف أحدهم كتابا في التفسير أول الآيات التي تخالف عقيدته وحملها باطل مذهبه ، ليصد الناس عن اتباع السلف ، ولزوم طريقة الهدى .

٢ - اعتياده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه ومن عاصروهم ويتجنب المحدثات ، وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل وان تعارضت رد الأمر الى ما ثبت فيه السمع ، فان لم يجد سمعا وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوى الاستدلال فيه كاختلافهم في معنى [حروف الهجاء] يرجح قول من قال إنها قسم وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله تعالى ولا يتهجم على تعيينه وينزه منزلة المجمع قبل تفصيله والمتشابه قبل تعيينه .

٣ - صحة المقصد :

فيما يقول ليلقى التسديد ، فقد قال تعالى : [والذين جامدوا فإنا لنهدينهم سبلنا] وإنما يخلص له المقصد اذا زهد في الدنيا لأنه اذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به الى غرض يصد عنه صواب ويفسد عليه صحة عمله .

٤ - الامام باللغة العربية وفروعها :

فان القرآن نزل بلسان عربي مبين ويتوقف فهمه على شرح مفردات الالفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : [ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب] والمعاني تختلف باختلاف وجوه الاعراب .

وقال ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه . قال تعالى : [لتبين للناس ما نزل إليهم] يتناول هذا وهذا .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرؤون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فعلنا القرآن والعلم والعمل جميعا .

وقد نقل السيوطي عن الزركشي [في البرهان] خلاصة الشروط التي لا بد منها لإباحة التفسير بالرأى ، فرأها تدرج تحت أربعة :
الأول : النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع .

الثاني : الأخذ بقول الصحابي ، فقد قيل : انه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأساب النزول ونحوها بما لا مجال للرأى فيه .

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات الى ما لا يدل

مورد الظلمآن في علوم القرآن

عليه الكثير من كلام العرب .

الرابع : الأخذ بما يقتضيه الكلام ؛ ويدل عليه قانون الشرع و هذا النوع
الرابع هو الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فى قوله :
[اللهم فقه فى الدين وعلمه التأويل] .

٥ - التجرد عن الهوى :

فألموا تدفع أصحابها الى نصره مذهبهم ، فيغرون الناس بلبس الكلام
ولحن البيان .

٦ - العلم باصول العلوم المتصلة بالقرآن :

كلام القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن و ترجيح بعض
وجوه الاحتمال على بعض ، وعلم التوحيد حتى لا يؤول آيات الكتاب التى
فى حق الله وصفاته تأويلا يتجاوز به الحق - وعلم الاصول ، وأصول التفسير
خاصة مع التعمق فى أبوابه التى لا يتضح المعنى ولا يستقيم المراد بدونها ،
كمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك .

٧ - دقة الفهم :

التى تمكن المفسر من ترجيح معنى على آخر ، أو استنباط معنى يتفق
مع نصوص الشريعة .

واما العلوم التى يحتاج اليها المفسر فهى خمسة عشر علما اليك يانها :
أحدها : اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها بحسب
الوضع . قال مجاهد : لا يحمل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر

مورد الظمان في علوم القرآن

ان يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب .

الثاني : النحو ، لأن المعنى يتغير و يختلف باختلاف الاعراب فلا بد من اعتباره .

الثالث : التصريف لأن به تعرف الابنية والصيغ .

الرابع : الاشتقاق لأن الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة او المسح .

الخامس و السادس و السابع : المعاني و البيان و البديع لأنه يعرف بالاول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى ، و بالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفائها و بالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم اركان المفسر .

الثامن : علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، و بالقراءات يرجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما في القرآن من الآية بظايرها على ما لا يجوز على الله تعالى .

العاشر : أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .
الحادى عشر : اسباب النزول و القصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه .

الثاني عشر : الناسخ و المنسوخ ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : احاديث الميثة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة و هو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ،
والله الاشارة بحديث [من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم] .

[آداب المفسر]

ذكر العلماء في المفسر آدابا عديدة نجمل أهمها فيما يلي :

١ - حسن النية و صحة القصد :

فإنما الأعمال بالنيات ، و العلوم الشرعية أولى بأن يكون مدف صاحبها
منها الخير العام ، واسداء المعروف لصالح الاسلام و ان يتطهر من
أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه ، والانتفاع بالعلم ثمرة الاخلاص فيه .

٢ - حسن الخلق :

فالمفسر في موقف المؤدب ، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس الا اذا
كان المؤدب مثالا يحتذى في الخلق والفضيلة .

٣ - الامتثال والعمل :

فان العلم يجد قبولا من العالمين أضاف ما يجد من سمو معارفه
ودقة مباحثه - و حسن السيرة يجعل المفسر قدوة حسنة لما يقرره من
مسائل الدين ، وكثيرا ما يصد الناس عن تاقى العلم من بحر زاخر في
المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه .

مورد الظمان في علوم القرآن

- ٤ - تحرى الصدق والضبط في النقل :
- فلا يتكلم أو يكتب الا من ثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللعن .
- ٥ - التواضع و لين الجانب :
- ٦ - هزة النفس :
- فن حق العالم أن يترفع عن سفاسف الامور .
- ٧ - الجهر بالحق :
- فأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .
- ٨ - حسن السمات :
- الذى يكسب المفسر مينة و وقارا في مظهره العام و جلوسه و وقوفه و مشيته دون تكلف .
- ٩ - الآثاء و الروية :
- فلا يسرد الكلام سردا بل يفصله و يبين عن محارج حروفه .
- ١٠ - تقديم من هو أولى منه - فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم و هم أحياء ولا يغمطهم حقهم بعد المات بل يرشد إلى الاخذ عنهم و قراءة كتبهم .
- ١١ - حسن الاعداد و طريقة الاداء :
- كان يبدأ بذكر سبب النزول ثم معاني المفردات و شرح التراكيب و بيان وجوه البلاغة و الاعراب الذى يتوقف عليه تحديد المعنى ، ثم يبين

مورد الظمان في علوم القرآن

المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره ، ثم يأتي الى الاستنباط والاحكام .

أما ذكر المناسبة و الربط بين الآيات أولا و آخرها فذلك حسب ما يقتضيه النظم و السياق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(نشأة علم التفسير)

بما لا ريب فيه أن التفسير مر بأطوار كثيرة حتى اتخذ هذه الصورة التي نجده عليها الآن في بطون المؤلفات والتصانيف ، بين مطبوع ومخطوط ولقد نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان أول شارح لكتاب الله ، يبين للناس ما نزل على قلبه ، أما صحابته الكرام فما كانوا يحرّون على تفسير القرآن وهو عليه السلام بين أظهرهم ، يتحمل هذا العبء العظيم ، وبوديه حق الاداء ، حتى إذا لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى لم يكن بد للصحابة العلماء بكتاب الله ، الواقفين على أسرارهم ، المهتمدين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علوه وتوضيح ما فهموه ، والمفسرون من الصحابة كثيرون إلا أن مشاهيرهم عشرة : [الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير .

أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . والرواية عن الثلاثة نزره جدا ، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم . وأجدر مولاة العشرة بلقب المفسر هو عبد الله بن عباس

مورد الظمان في علوم القرآن

الذى شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم ، ودعا له بقوله : [اللهم
فقهه في الدين ، وعلمه التأويل] وسماء ترجمان القرآن .

[التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه]

كان الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون في تفسيرهم للقرآن في هذا

العصر على ما يأتى : أولا : القرآن الكريم :

فما جاء مجملا في موضع جاء مبينا في موضع آخر ، تأتي الآية مطلقة

أو عامة ، ثم ينزل ما يقيد ما أو يخصصها ، وهو الذى يسمى : بتفسير القرآن

بالقرآن ولهذا أمثلة كثيرة فقصص القرآن جاء موجزا في بعض المواضع

ومسها في مواضع أخرى .

وقوله تعالى : [أحلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم^١] فسر

آية [حرمت عليكم الميتة^٢] وقوله تعالى : [لا تدركه الابصار^٣] فسر آية

[الى ربها ناظرة^٤]

ثانيا : النبي صلى الله عليه وسلم :

فهو المبين للقرآن ، وكان الصحابة يرجعون اليه اذا أشكل عليهم

فهم آية من الآيات . عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية [الذين آمنوا

(١) سورة المائدة رقم : ١

(٢) سورة المائدة رقم : ٣

(٣) سورة الانعام رقم : ١٠٣

(٤) سورة القيامة رقم : ٣٣

ولم يلبسوا ايمانهم بظلم^١] شق ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله و اينما لا يظلم نفسه ؟ قال : انه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح [إن الشرك اظلم عظيم^٢] كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم ما يشاء عند الحاجة . عن عقبه بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة^٣] ألا وان القوة الرمي .

و عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [الكوثر نهر أعطانيه ربي في الجنة] وقد أفردت كتب السنة بابا للتفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الله تعالى : [وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون^٤] و من القرآن ما لا يعلم تاويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم كتفصيل وجوه أمره ونهيه ، ومقادير ما فرضه الله من الأحكام ، وهذا البيان هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم [ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه] .

ثالثا : الفهم و الاجتهاد : فكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله تعالى ولم يجدوا شيئا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الانعام رقم : ٨٢

(٢) سورة لقمان رقم : ١٣

(٣) سورة الانفال رقم : ٦٠

(٤) سورة النحل رقم : ٦٤

وسلم اجتهدوا في الفهم ، فانهم من صميم العرب بل من أخلصهم وأصرحهم ، يعرفون العربية ، ويحسنون فهمها ، ويعرفون وجوه البلاغة فيها . ولا شك ان التفسير بالمأثور عن الصحابة له قيمته . وذهب جمهور العلماء الى أن تفسير الصحابي له حكم المرفوع اذا كان بما يرجع الى أسباب النزول وكل ما ليس للرأى فيه مجال .

أما ما يكون للرأى فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والموقوف على الصحابي من التفسير يوجب بعض العلماء الأخذ به لأنهم أهل اللسان ، ولما شاهدوه من القرائن و الاحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم الصحيح .

قال الزركشي في البرهان : [اعلم أن القول قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد . و الاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو أكابر التابعين - فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي ، فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتياده . أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه] .

(التفسير في عصر التابعين)

وتلقى أقوال الصحابة نقر من كرام التابعين في الامصار الاسلامية

مورد الظمان في علوم القرآن

المختلفة فنشأت في مكة طبقة للمفسرين ، وفي المدينة طبقة ثانية ، وفي العراق
ثالثة ، قال ابن تيمية : [أعلم الناس بالتفسير أهل مكة ، لانهم أصحاب ابن
عباس كجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس ، وسعيد بن جبير
وطاوس وغيرهم ، وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلاء أهل المدينة
في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك
ابن أنس ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، لجمعوا أقوال من تقدمهم
وصنفوا التفاسير ، كما فعل سفيان بن عيينة ؛ ووكيع بن الجراح ؛ وشعبة
ابن الحجاج ؛ ويزيد بن هارون ؛ وعبد بن حميد . فكانوا بذلك أرواحا
لابن جرير الطبري الذي يوشك المفسرون جميعا من بعده أن يكونوا عالة
عليه .

و بعد ذلك اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة ، فكان ما يسمى
[بالتفسير بالمأثور] وهو امتداد للتفاسير السابقة المسندة إلى الصحابة والتابعين
وتابعيهم ، وكان يسمى [بالتفسير بالرأى] وفيه تعددت المناهج وتضاربت
الأفكار فحمد بعضه وذم بعضه ، تبعا لقربه من هداية القرآن أو بعده عنها .

[ألف] - وأجل التفاسير بالمأثور هو تفسير ابن جرير الطبري ، ويسمى
كتابه [جامع البيان] في تفسير القرآن ، ومن خصائصه أنه عرض فيه
لأقوال الصحابة والتابعين مع تحوير أسانيدها ، وترجيح بعضها عن بعض ،
واستنباط الكثير من الأحكام وذكر بعض وجوه الأعراب التي تزيد المعنى
وضوحا غير أنه اعتمادا منه على معرفة الناس حال الأسانيد كان أحيانا يغفل

مورد الظلمآن في علوم القرآن

بعضها ويذكر منها غير الصحيح دون أن ينبه عليه .

و يقرب من تفسير الطبرى وربما يفوقه في بعض الأمور تفسير ابن كثير [عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي] المتوفى ٧٧٤هـ ومن مزاياه الدقة في الاسناد . وبساطة العبارة ، ووضوح الفكرة . وتبعا لهذا المنهج ألف السيوطي كتابه القيم [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] وقد اعتمد فيه - كما يفهم من عنوانه - على الأخبار الصحيحة الماثورة التي تجعله أقرب الى الفكرة الاسلامية منه الى الشروح الانسانية . لكن التفسير بالمأثور معرض غالبا للنقد الشديد ، لأن الصحيح من الروايات قد اختلط بغير الصحيح ، ولا تنسى ما لزنادة اليهود والفرس من نشاط لا يجهله أحد في الدس على الاسلام وتشويه تعاليمه السمحاء ، وما لاصحاب المذاهب والشيع من ولوع غريب بجمع معاني القرآن وتنزيلها وفق هواهم ، فكان على المفسر بالمأثور أن يدقق في تعبيره ويحترس في روايته ويحتاط كثيرا في ذكر الأسانيد .

[ب] - أما التفسير بالرأى فقد اختلف العلماء فيه فمن محرم له ومن يجوز لكن اختلافهم يؤول في النهاية الى أن المحرم منه هو الجزم بان مراد الله كذا من غير برهان أو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة وأصول الشرع ، أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زورا وبهتانا أما إذا كان الشروط المطلوبة متوافرة في المفسر فلا مانع من محاولة [التفسير بالرأى] المحمود ، بل لعنا لانبعد إن قلنا : إن القرآن نفسه يدهو

الى هذا الاجتهاد في تدبر آياته وفقه تعاليمه .

قال تعالى : [افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها]

وقال تعالى : [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو

الالباب]^٢ .

والتفسير بالرأى الجائز حتى مع استيفائه جميع الشروط التي تجعله محموداً لا مسوغ له إذا عارضه التفسير بالمأثور الذي ثبت لنا بالنص القطعي لأن الرأى اجتهاد ، ولا مجال للاجتهاد في مورد النص ، أما إذا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأى المحمود والتفسير بالمأثور فكل منهما يؤيد الآخر ويثبت ، وذلك أكثر ما نجد في كتب التفسير كالأقوال الكثيرة في تفسير قوله تعالى [فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله]^٣ فالسابق من رجحت حسناته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته ، والظالم المرتكب لبعض المحرمات على رأى ، والسابق المخلص ، والمقتصد المرائى ، والظالم كافر النعمة غير الجاحد لها على رأى ثان ، والسابق هو الذى تمحض للخير والمقتصد هو الذى خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، والظالم هو المرجأ إلى أمر الله عزوجل على رأى ثالث ومكذا وهى أقوال كما ترى ليس بينها تناف ولا تعارض .

(١) سورة محمد رقم : ٢٢

(٢) سورة ص رقم : ٢٩

(٣) سورة فاطر رقم : ٢٢

[ج] - وتفسير الفرق الاسلامية المختلفة ترجع - في الحقيقة - الى التفسير بالرأى ، غير أنها تدخل في النوع المذموم منه ، لأن أصحابها لم يؤلفوها الا لتأييد أمواتهم ، أو الانتصار لمذاويهم ومواجيدهم ، من ذلك تفسير المعتزلة والمتصوفة والباطنية .

ويغلب على تفسير المعتزلة الطابع العقلي ، والمذهب الكلامي ، تبعاً لقاعدتهم المشهورة [الحسن ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه العقل] ولا ترد النصوص النبوية فيها إلا على أنها شيء ثانوي ، نادراً ما يلجؤون إليه لشرح معاني الآيات ، وخير من يمثل هذه النزعة العقلية في التفسير الزمخشري [محمد ابن عمر الملقب بحمار الله المتوفى ٥٣٨ هـ] في كتابه [الكشاف] الذي يمتاز بإيراد النكات البلاغية وتحقيق بعض وجوه الإعجاز ، وهو إلى ذلك خال من الاسرائ依ليات التي تكثر في بعض كتب التفسير بالمأثور وعبارته بليغة موجزة ليس فيها حشو وتطويل .

وإليك نموذجاً من تفسيره : قال في بيان قوله تعالى [ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة^١] فان قلت : لم أسند الختم إلى الله تعالى واسناده إليه يدل على فعل القبيح بدليل [وما أنا بظلام للعبيد] [وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون] . [ان الله لا يأمر بالفحشاء] .

ثم أول اسناد الحتم الى الله تعالى بان الكلام استعارة أو مجاز ،
على معنى أن الشيطان هو الخاتم أو الكافر ، وأسند إلى الله تعالى لأنه هو
الذى أقدره . ومكنه إلى غير ذلك من التفاسير المتصوفة والاشارية [وهذا
تفسير باطل] .

[د] - هذا وأنا نضطر أحيانا للرجوع إلى نوع معين من التفاسير :
فإذا كنا نبحث عن النكات البلاغية رجعنا إلى الزمخشري وإذا التمسنا المباحث
الكلامية رجعنا إلى الرازى ، وإذا اردنا اعراب القرآن فعلينا بالبحر المحيط
لأبى حيان الاندلسى [المتوفى سنة ٧٤٥] فقيه كثير من المباحث النحوية ،
والمسائل المتعلقة بالقراءات كما أنه لا يعنى بالنصوص النبوية الا قليلا ، فليس
من باب التفسير بالمأثور .

[هـ] - وقد ألفت فى القرن الأخير تفاسير لبعض العلماء المعاصرين
فيها محاولات للتجديد ، وأقلها نصيبا من النجاح - بلا ريب - [الجواهر فى
تفسير القرآن] للطنطاوى جوهرى ، فان فى تفسيره كل شىء ما عدا التفسير .

أما تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا فانه نمط خاص فى تأويل كلام
الله يرجع به مؤلفه غالبا الى آثار السلف محاولا التوفيق بينها وبين مقتضيات
العصر الحاضر ، ويحالفه النجاح فى أكثر هذه المحاولات . الا أنه أحيانا
يستمسك ببعض الآراء الضعيفة ويدافع عنها بقوة وعناد والمنهج الذى
يصدر عنه يدل - بوجهه عام - على تعمقه للاسلوب القرآنى ، ودراسته له

على أنه للهداية والاعجاز ، وللشاهد سيد قطب في تفسيره [ظلال القرآن]
لمحات مرفقة في فهم أسلوب القرآن في التعبير والتصوير . إلا أن الغرض
الأول منه تبسيط المبادئ القرآنية للنشئ ، فهو إلى التوجيه أقرب منه إلى
التعليم .

والتفسير بالمأثور إذا اجتمع إليه حسن الاستنباط ، وسعة الثقافة
والمقدرة على الترجيح هو أولى التفاسير بالاعتبار . ونحن مع ذلك لا ننصح
بالاقتصار عليه . فلا بد لنا لتأويل الآية أو الآيات من الرجوع إلى مختلف
التفاسير ، ثم نحاول أن نختار لأنفسنا أصلح الآراء فيها ، إلى أن يثبت لنا
على وجه القطع أثر صحيح في الموضوع فناخذ به ونطرح ما عداه ، إذ لا
مسوغ للاجتهاد في مورد النص .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التفسير بالمأثور)

التفسير بالمأثور : هو الذى يعتمد على صحيح المنقول بالمراتب التى ذكرت سابقا فى شروط المفسر ، من تفسير القرآن بالقرآن ، أو بالسنة لأنها جاءت مينة لكتاب الله ، أو بما روى عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله ، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة . و هذا المسلك يتحرى الآثار الواردة فى معنى الآية فيذكرها ولا يجتهد فى بيان معنى من غير أصل ، و يتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة فى معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح .

قال ابن تيمية : يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم ألفاظه فقله تعالى [لتبين للناس ما نزل إليهم] يتناول هذا و هذا ، و قد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن القرآن كعثمان بن عفان ، و عبد الله بن مسعود وغيرهما ؛ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات

(١) هو عبد الله بن حبيب التابعى المقرئ المتوفى سنة ٧٢ هـ و هو غير أبى

عبد الرحمن السلمى الصوفى المتوفى ٤١٢ هـ .

لم يتجاوزوا حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا . ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة .

قال أنس : [كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا] رواه أحمد في مسنده ، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين ، أخرجه مالك في الموطأ و ذلك أن الله تعالى قال : [كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته] و قال [أفلا يتدبرون القرآن] وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يتأتى ، و أيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فن من العلم كالطب و الحساب و لا يستشرحوه . فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاحهم وسعادتهم و قيام دينهم و دنياهم .

و من التابعين من أخذ التفسير كله عن الصحابة ، عن مجاهد قال : [عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته ، أستوقفه عند كل آية و أسأله عنها] .

[الاختلاف فيه]

و التفسير بالمأثور يدور على رواية ما نقل عن صدور هذه الأمة و كان الاختلاف بينهم قليلا جدا بالنسبة إلى من بعدهم ، و أكثره لا يعدو أن يكون خلافا في التعبير مع اتحاد المعنى ، أو يكون من تفسير العام ببعض أفراد على طريق التمثيل ، قال ابن تيمية : [والخلاف بين السلف في التفسير قليل ، و غالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، و ذلك نوعان : أحدهما : أن يعبر واحد منهم عن المراد

مورد الظمان في علوم القرآن

بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، كتفسيرهم [الصراط المستقيم] قال بعضهم : القرآن أى اتباعه ، وقال بعضهم : الاسلام . فالتقولا ان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ، و لكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر .

الثانى : ان يذكر كل منهما من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل و تنبيه المستمع على النوع و مثاله ما نقل في تفسير قوله تعالى : [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا] الآية و قد أسهبتنا القول في تفسيرها كما تقدم .

و قد يكون الاختلاف لاحتمال اللفظ أمرين كلفظ [عسعر] الذى يراد به إقبال الليل و ادباره .

[حكم التفسير بالماثور]

التفسير بالماثور هو الذى يجب اتباعه و الاخذ به لانه طريق المعرفة الصحيحة و هو آمن سبيل للحفظ عن الزلل و الزيغ فى كتاب الله ، و قد روى عن ابن عباس أنه قال : [التفسير على أربعة اوجه وجه تعرفه العرب من كلامها ، و تفسير لا يعذر أحد بجهالة ، و تفسير يعلمه العلماء ، و تفسير لا يعلمه أحد [إلا الله] .

فالذى تعرفه العرب هو الذى يرجع فيه الى لسانهم ببيان اللغة و الذى لا يعذر أحد بجهالة : هو ما يتبادر فهم معناه إلى الأذنان من النصوص

المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد ولا لبس فيها فكل امرئ يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى : [فاعلم أنه لا إله إلا الله ^(١)] وإن لم يعلم أن هذه العبارة وردت بطريق النفي والاستثناء فهي دالة على الحصر .

و أما ما لا يعلمه إلا الله فهو المغيبات ، كحقيقة قيام الساعة ، وحقيقة

الروح .

و أما ما يعلمه العلماء : فهو الذي يرجع إلى اجتهادهم المعتمد على الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي ، من بيان مجمل أو تخصيص عام أو نحو ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

(مناهج المفسرين بالماثور)

١ - تنوير المقياس لابن عباس .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

يمتاز ابن عباس برجوعه في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم إلى الشعر العربي ، لمعرفته ببلغة العرب وإلمامه بديوانها . وتعدد الروايات عن ابن عباس ، وتتفاوت صحة وضعها ، وقد تتبع العلماء هذه الروايات وكشفوا عن مبلغها من الصحة .

٢ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

وهو تفسير عظيم القيمة ، لا غنى لطالب العلم عنه ، قال السيوطى :
[و كتابه - يعنى تفسير محمد بن جرير - أجل التفاسير وأعظمها ، فانه يتعرض لتوجيه الأقوال ، و ترجيح بعضها على بعض ، و الأعراب ، و الاستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين] . وقال النووى : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى .

طريقة ابن جرير في تفسيره :

أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول : [القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا] ثم يفسر الآية مستشهدا ما يرويه بسنده الى الصحابة أو التابعين من التفسير بالمأثور عنهم و يعرض لكل ما روى في الآية . ولا يقتصر على مجرد الرواية ؛ بل يوجه الأقوال ويرجح بعضها على بعض كما يتعرض لآحية الأعراب ان دعت الحال الى ذلك ، و يستنبط بعض الأحكام وقد يقف من السند موقف الناقد البصير أحيانا ، فيعدل من رجال الاسناد ، ويخرج من يجرح منهم ، و يرد الرواية التي لا يثق بصحتها ويعتق ابن جرير بذكر القراءات وتوجيهها ، و يقال انه ألف فيها مؤلفا خاصا ، ومع روايته الأخبار المأخوذة من القصص الاسرائيلي فانه كثيرا ما يتعقبها بالبحث .

ويعتمد ابن جرير على الاستعمالات اللغوية بجانب الروايات المنقولة ، ويستشهد بالشعر القديم ؛ ويهتم بالمذاهب النحوية و يحتكم إلى المعروف من لغة العرب ، و يعالج الأحكام الفقهية مجتهدا ، فيذكر أقوال العلماء ومذاهبهم ، و يخلص من ذلك برأى يختاره لنفسه و يرجحه .

و يناقش مسائل العقيدة مناقشة فاحصة ، يرد فيها على الفرق ومذاهب أهل الكلام ، و ينتصر لأهل السنة والجماعة .

٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .

التعريف بهذا الكتاب وطريقة مؤلفه فيه :

مورد الظمان في علوم القرآن

كثير الاهتمام بالشواهد الأدبية ، والصناعة النحوية .

ويقارن ابن حيان في مقدمة تفسيره بينه وبين تفسير الزمخشري فيقول :
[وكتاب ابن عطية اقل ، و أجمع ، وأخلص ، وكتاب الزمخشري ألخص
وأغوص] . ويعقد ابن تيمية مقارنة بين الكتابين كذلك فيقول : [وتفسير
ابن عطية خير من تفسير الزمخشري ، وأصح نقلا وبجنا ، وابتدع عن البدع
وان اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير]
ويقول ابن تيمية كذلك : [و تفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة ،
وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ، ولو ذكر كلام السلف الموجود
في التفاسير الماثورة عنهم على وجه لكان أحسن وأجمل . فانه كثيرا ما
ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها
قدرا ثم انه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ، ويذكر ما
يزعم أنه قول المحققين وإنما يعنى بهم طائفة من أهل الكلام الذين قدروا
أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كان أقرب إلى
السنة من المعتزلة] .

٤ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير :

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

من أشهر ما دون في التفسير بالماثور ، و يأتي في المرتبة الثانية
بعد كتاب ابن جرير فهو يفسر كلام الله بالاحاديث والآثار مسندة إلى

اصحابها مع الكلام عما يحتاج اليه جرحا و تعديلا و ترجيح بعض الاقوال
على بعض و تضعيف بعض الروايات و تصحيح بعضها الآخر .

و يمتاز ابن كثير بانه ينفه في كثير من الاحيان الى ما في التفسير
بالمأثور من منكرات الاسرائيليات كما يذكر اقوال العلماء في الاحكام الفقهية ،
و يناقش مذاهبهم و أدلتهم أحيانا .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالمأثور)

أما هذه الكتب التي وقع عليها الاختيار في التفسير بالمأثور فهي ما يأتي :

- ١ - تنوير المقياس من تفسير ابن عباس لابن عباس .
- ٢ - تفسير ابن عينة .
- ٣ - تفسير ابن أبي حاتم .
- ٤ - تفسير أبي الشيخ ابن حبان .
- ٥ - تفسير ابن عطية .
- ٦ - بحر العلوم لابن الليث السمرقندي .
- ٧ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن لابن اسحاق .
- ٨ - جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري .
- ٩ - تفسير ابن أبي شبة .
- ١٠ - معالم التنزيل للبغوي .
- ١١ - تفسير القرآن العظيم لابن الفداء الحافظ ابن كثير .
- ١٢ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن .
- ١٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي .
- ١٤ - فتح القدير للشوكاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

(التعريف بأهم كتب المفسرين بالرأى الجائز)

أما هذه الكتب التي وقع عليها الاختيار ، فهي ما يأتي :

- ١ - مفاتيح الغيب للفخر الرازي
 - ٢ - أنوار التنزيل و أسرار التأويل لليضوي
 - ٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي
 - ٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن
 - ٥ - البحر المحیط لأبي حيان
 - ٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري
 - ٧ - تفسير الجلالين للجلال المحلى والجلال السيوطي
 - ٨ - السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشريني
 - ٩ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود
 - ١٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . للآلوسي
- هذه هي الكتب التي وقع عليها الاختيار وسأتكلم عنها على حسب هذا الترتيب ، فاقول وبالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

(منهاج المفسرين) بالرأى الجائز

١ - مفاتيح الغيب للرازي .

ان تفسير الفخر الرازي ليحظى بشهرة واسعة بين العلماء ، وذلك
لأنه يمتاز عن غيره من كتب التفسير بالأبحاث الفياضة الواسعة في نواح
شتى من العلم ، ولهذا يصفه ابن خلكان فيقول : إن الفخر الرازي - جمع
فيه كل غريب وغريبة .

موقفه من علوم الفقه والأصول والنحو والبلاغة :

ان الفخر الرازي لا يكاد يمر بآية من آيات الاحكام الا ويذكر
مذاهب الفقهاء فيها ، مع ترويجه لمذهب الشافعي - الذي يقلده - بالادلة
والبراهين . وإهتم الفخر الرازي ببيان المناسبات بين آيات القرآن و سورته .
موقفه من المعتزلة :

إنه كسنى يرى ما يراه أهل السنة ، ويعتقد بكل ما يقررونه من
مسائل علم الكلام - لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة
بذكر أقوالهم والرد عليها . ردا لا يراه البعض كافيا ولا شافيا .

٢ - أنوار التنزيل و اسرار التأويل لليضاوى

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

تفسير الیضاوى جمع فيه صاحبه بين التفسير و التأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية ، و قرر فيه الأدلة على أصول أهل السنة .

و قد إختصر الیضاوى تفسيره من الكشف للزحشرى ؛ و لكنه ترك ما فيه من اعتزالات ، و ان كان أحيانا يذهب الى ما يذهب اليه صاحب الكشف و من ذلك أنه عند ما فسر قوله تعالى [الذين ياكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس] و جدناه يقول الا قياما كقيام المصروع ، و هو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع ، ثم يفسر المس بالجنون . و يقول [و هذا أيضا من زعمهم أن الجن يمس الرجل فيختلط عقله] و هذا موافق لما ذهب إليه الزحشرى من أن الجن لا تسلط على الانسان إلا بالوسوسة و الاغواء . كما اننا نجد الیضاوى وقع فيما وقع فيه صاحب الكشف ، من ذكره في نهاية كل سورة حديثا في فضلها و ما لقارنها من الثواب و الأجر عند الله ، و قد عرفت هذه الأحاديث بانها موضوعة باتفاق أهل الحديث و نحن نستنكر على الیضاوى صنيعه هذا مع ما له من مكانة عليه ، و إن كان بعض الناس قد تلس له عذرا فذلك لا يکفى لتبرير هذا العمل الذى لا يليق بعالم كهذا

وقد ضمن تفسيره من أقوال الصحابة والتابعين .. ويندر فيه ذكر الروايات الاسرائيلية وخلاصة القول ، فالكتاب من أمهات كتب التفسير ، التي لا يستغنى عنها من يريد أن يفهم كلام الله تعالى ، ويقف على أسرارہ ومعانيه

٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير ، اختصره النسفي - رحمه الله - من تفسير اليبضاوي ومن الكشف للزمخشري ، غير أنه ترك ما في الكشف من الاعتزالات وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة . وهو تفسير وسط بين الطول والقصر جمع فيه صاحبه بين وجوه الأعراب والقراءات وضمنه ما اشتمل عليه الكشف من النكت البلاغية والمحسنات البديعية والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية ، وأورد فيه ما أورده الزمخشري في تفسيره من الاسئلة والاجوبة ، لكن لا على طريقته من قوله : فإن قيل ... قلت ، بل جعل ذلك في الغالب كلاما مدرجا في ضمن شرحه للآية كما أنه لم يقع فيما وقع فيه صاحب الكشف من ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور .

هذا وقد أورد النسفي في مقدمة تفسيره عبارة قصيرة ، أوضح فيها عن طريقته التي سلكها فيه ، وأرى أن أسوقها لك بنصها لتمام الفائدة .
قال رحمه الله : [قد سألني من تعين إجابته ، كتابا وسطا في

مورد الظمان في علوم القرآن

التأويلات ، جامعا لوجوه الاعراب و القراءات متضمنا لدقائق على البديع
والاشارات حافلا بأقاويل أهل السنة و الجماعة ، غالبا عن أباطيل أهل البدع
والضلالة ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، وكنت أقدم فيه رجلا
و أواخر أخرى ، استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر ، و أخذاً
السيل الحذر عن ركوب متن الخطر ، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق
كثيرة ، و أتممت في مدة يسيرة ، و سميت بمدارك التنزيل و حقائق التأويل .

خوضه في المسائل النحوية :

موقفه من القراءات :

و أما من ناحية القراءات فهو ملتزم للقراءات السبع المتواترة مع
نسبة كل قراءة الى قارئها .

خوضه في مسائل الفقه :

موقفه من الاسرائيليات :

و بما نلاحظه على هذا التفسير أنه مقل جداً في ذكره للاسرائيليات
و ما يذكره من ذلك يمر عليه بدون أن يتعقبه أحيانا ، و أحيانا يتعقبه
ولا يرتضيه .

٤ - لباب التأويل في معاني التنزيل : للخازن

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير اختصره مؤلفه من معالم التنزيل للبغوي ، و ضم إلى

ذلك ما نقله ولخصه من تفاسير من تقدم عليه ، وليس له فيه - كما يقول - سوى النقل والانتخاب ، مع حذف الأسانيد وتجنب التلويل والاسهاب . وهو مكثر من رواية التفسير بالمأثور الى حد ما يعنى بتقرير الأحكام وأدلتها ، يملؤه بالأخبار التاريخية ، والقصص الاسرائيلي الذي لا يكاد يسلم كثير منه أمام ميزان العلم الصحيح و العقل السليم وأرى أن أسوق هنا ما قاله الخازن نفسه في مقدمة تفسيره ، مينا به طريقته التي سلكها ، ومنهجه الذي نهجه فيه ، وفيها غنى عن كل شيء . قال رحمه الله تعالى [ولما كان كتاب معالم التنزيل ، الذي صنفه الشيخ الجليل ، والحبر النيل الامام العالم محي السنة ، قدوة الأمة ، وامام الأئمة ، مفتي الفرق ، ناصر الحديث ، ظهير الدين ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه - من أجل المصنفات في علم التفسير و أعلاما و أنبلها و أسناما جامعا للصحيح من الأقاويل ، عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل ، ومحلي بالأحاديث النبوية ، مطرزا بالأحكام الشرعية ، موشى بالقصص الغريبة ، وأخبار الماضين العجيبة ، مرصعا بأحسن الاشارات مخرجا بأوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بأفصح مقال ، فرحم الله تعالى مصنفه و أجزل ثوابه وجعل الجنة مثقله ومآبه] .

توسعه في ذكر الاسرائيليات :

عنايته بالأخبار التاريخية :

مورد الظمان في علوم القرآن

كذلك نلاحظ على هذا التفسير أنه يفيض في ذكر الغزوات التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إليها القرآن الكريم .
عنايته بالناحية الفقهية :

عنايته بالمواظ :

ثم إن هذا التفسير كثيرا ما يتعرض للمواظ والرقاق ، ويسوق أحاديث الترغيب والترهيب ، ولعل نزعة الخازن الصوفية هي التي أثرت فيه فجعلته يعنى بهذه الناحية ويستطرد إليها عند المناسبات .

توسعه في ذكر الاسرائيليات :

حيث يتسع في ذكر القصص الاسرائيلي . وكثيرا ما ينقل ما جاء من ذلك عن بعض التفاسير التي تعنى بهذه الناحية ، كتفسير الثعلبي وغيره .
عنايته بالناحية الفقهية : فاذا تكلم عن آية من آيات الاحكام ، استطرد إلى مذاهب الفقهاء فيها وأدلتهم .

هـ - البحر المحيط - لأبي حيان .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يقع هذا التفسير في ثمان مجلدات كبار ، وهو مطبوع ومتداول بين أهل العلم ومعتبر عند المراجع الاول والامم لمن يريد أن يقف على وجوه الاعراب لالفاظ القرآن ، إذ أن الناحية النحوية هي أبرز ما فيه من البحوث التي تدور حول آيات الكتاب العزيز ؛ والمؤلف إذ يتكلم عن هذه

الناحية فهو ابن بجدتها وفارس حلبتها ، غير أنه - والحق يقال - قد أكثر من مسائل النحو في كتابه مع توسعه في مسائل الخلاف بين النحويين ، حتى أصبح الكتاب أقرب ما يكون إلى كتب النحو منه إلى كتب التفسير .

هذا وإن أبا حيان وإن غلبت عليه الصناعة النحوية في تفسيره إلا أنه مع ذلك لم يهمل ما عداها من النواحي التي لها اتصال بالتفسير ، فقرأه يتكلم على المعاني اللغوية للمفردات ، ويذكر أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات الواردة مع توجيهها ، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية في القرآن ولا يهمل الأحكام الفقهية عند ما يمر بآيات الأحكام ، مع ذكره لما جاء عن السلف ومن تقدمه من الخلف في ذلك ، كل هذا على طريقة وضعها لنفسه ومشى عليها في كتابه وذلك حيث يقول : [و ترتبني في هذا الكتاب ، أني ابتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظه لفظه فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ، ثم أشرح في تفسير الآية إذا كرا سبب النزول إذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها ، وارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات ، شاذما ومستعملها إذا كرا توجيه ذلك في علم العريضة ، ناقلا تاويل السلف والخلف في فهم معانيها متكلما على جليها وخفيها ، بحيث أني لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت

مورد الظمان في علوم القرآن

حتى أتكم عليها ، مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ؛ ودقائق الآداب من بديع و بيان الخ .

هذا و إن أبا حيان يعتمد في أكثر نقول كتابه هذا - كما يقول - على كتاب التحرير والتجويد لأقوال أئمة التفسير ، من جمع شيخه الصالح المقدسي القدوة الأديب ، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن سليمان بن حسن بن حسين المعروف بابن النقيب ، رحمه الله . إذ هو أكبر كتاب صنف في علم التفسير و نهاية القول ، فإن أبا حيان قد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها وبرع فيها وهي الناحية النحوية التي طفت على ما عداها من نواحي التفسير .

٦ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان : للنيسابوري .

التعريف بهذا التفسير و طريقة مؤلفه فيه :

اختصر النيسابوري تفسيره هذا من التفسير الكبير للفخر الرازي ، وضم الى ذلك بعض ما جاء في الكشف وغيره من التفاسير ، و ما فتح الله به عليه من الفهم لمحكم كتابه ، وضمنه ما ثبت لديه من تفاسير سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين .

موقفه من الزمخشري والفخر الرازي :

وهو إذ يختصر كلام الفخر الرازي أو يقتبس من تفاسير الكشف وغيره لا يقف عند النص و قوف من يحمد عند النصوص و يرى أنها ضربة لازب عليه فلا يعترض ولا يتصرف ، بل نجد حرا في تفكيره ، متصرفا

مورد الظمان في علوم القرآن

فيما يختصر أو يقتبس ، فان وجد فسادا به عليه وأصلحه ، وان رأى نقصانا تداركه فآتمه وأكمله .

كثيرا ما نجد ينقل عن الكشاف فيقول : قال في الكشاف كذا وكذا وقد ينقل ما ذكره صاحب الكشاف وما اعترض به عليه الفخر الرازي ثم ينصب نفسه حكما بين الامامين ، ويسدى رأيه على حسب ما يظهر له .

منهجه في التفسير :

ثم إننا نجد الامام النيسابوري ، قد سلك في تفسيره مسلكا قد يكون منفردا به من بين المفسرين ، ذلك أنه يذكر الآيات القرآنية أولا ثم يذكر القراءات ، مع التزامه ألا يذكر إلا ما كان منها منسوبا إلى الأئمة العشرة ، وإضافة كل قراءة إلى صاحبها الذي تنسب إليه ، ثم بعد ذلك يذكر الوقوف مع التعليل لكل وقف منها ثم بعد ذلك يشرح في التفسير مبتدئا في ذكر المناسبة وربط اللاحق بالسابق مع عناية كبيرة بذلك سرت إليه من التفسير الكبير للفخر الرازي ، ثم بعد ذلك يبين معاني الآيات بأسلوب بديع يشمل على إبراز المقدرات وإظهار المضمرات وتاويل التشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات ، وتفصيل المذاهب الفقهية مع توجيه أدلة كل مذهب وما حملت عليه الآية القرآنية ، لتكون مؤيدة لمذهب من المذاهب أو غير متعارضة معه ولا منافية له .

مورد الظمان في علوم القرآن

خوضه في المسائل الكلامية :

خوضه في المسائل الكونية والفلسفية :

النزعة الصوفية في تفسير النيسابوري :

ليس في تفسير النيسابوري ما يدل على تشيعه ، هذا وقد نوه صاحب روضات الجنات بمكانة هذا التفسير فقال : [و تفسيره يريد النيسابوري من أحسن شروح كتاب الله المجيد وأجمعها للفوائد اللفظية والمعنوية ، وهو قريب من تفسير مجمع البيان كما وكيفا وسمة وترتيا بزيادة أحكام الاوقات في أوائل تفسير الآي ومراتب التأويل في آخره والاشارة الى جملة من دقائق نكات العريية .

٧ - تفسير الجلالين :

لجلال الدين المحلى و جلال الدين السيوطى -

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

اشترك في هذا التفسير - كما قلنا - الامامان الجليلان ، جلال الدين

المحلى و جلال الدين السيوطى .

أما جلال الدين المحلى فقد ابتدأ تفسيره من أول سورة الكهف الى آخر سورة الناس ثم ابتدأ بتفسير الفاتحة وبعد أن أتمها واقته المنية فلم يفسر ما بعدها .

وأما جلال الدين السيوطى ، فقد جاء بعد الجلال المحلى فكمل

تفسيره ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة ، وانتهى عند آخر سورة الاسراء ووضع
تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلى لتكون ملحقة به .

هذا هو الواقع . ولا أظن صاحب كشف الظنون مصيبا حيث
يقول عند الكلام على تفسير الجلالين ما نصه [تفسير الجلالين من أوله إلى
آخر سورة الاسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى المتوفى
سنة ٨٦٤ هـ ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر
السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ] وحيث يقول بعد ذلك بقليل وكان المحلى لم يفسر
الفاتحة وفسرها السيوطى تفسيراً مناسباً . انتهى .

٨ - السراج المنير

في الاعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير -

للخطيب الشريفي

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

ذكر مؤلف هذا الكتاب في مقدمته : أن أئمة السلف ألفوا في
التفسير كتباً كل على قدر فهمه ومباغ علمه ، وأنه خطر له أن يقتنى أثرهم
ويسلك طريقتهم ولكنه تردد في ذلك مدة من الزمن ، مخافة أن يدخل
تحت الوعيد الوارد في حق من فسر القرآن برأيه أو بغير علم ، ثم ذكر أنه
استخار الله تعالى في حضرته ، بعد أن صلى ركعتين في روضته وسأله
أن يشرح صدره لذلك وييسره له ، فشرح الله صدره ، ولما رجع من سفره

كتسم ذلك في سره ، حتى قال له شخص من أصحابه : أنه رأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم أو الشافعي يقول : قل لفلان يعمل تفسيراً على القرآن وذكر المؤلف أنه لم يمض عليه إلا القليل حتى قرر في وظيفة مشيخة تفسير في البيرستان وذكر أن جملة من أصحابه ممن لهم شغف بالعلم طلبوا منه بعد فراغه من شرح منهاج الطالبين ، أن يجعل لهم تفسيراً وسيطاً بين الطول الممل والقصر المخل ، فأجابهم إلى ذلك متمثلاً وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، حيث قال فيما يرويه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : [ان رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً] .

وذكر أنه اقتصر فيه على أرجح الأقوال ، وأعراب ما يحتاج إليه عند السؤال ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعراب محلها كتب العربية ، وذكر أن ما يذكره فيه من القراءات فهو من السبع المشهورات .

موقفه من القراءات والأعراب والحديث .

وقد وفى فيه صاحبه بما وعد فلم يذكر من القراءات إلا ما تواتر

منها .

اهتمامه بالنكت التفسيرية ومشكلات القرآن :

عنايته بالمناسبات بين الآيات :

موقفه من المسائل الفقهية :

إنه يستطرد إلى ذكر الأحكام الفقية ، و مذاهب العلماء و أدلتهم .
كثرة نقوله عن تفسير الفخر الرازي :

خوضه في الاسرائيليات :

هذا ولم يخل تفسير الخطيب ، من ذكر بعض القصص الاسرائيلي
وذلك بدون أن يتعقبه بالتصحيح أو التضعيف .

٩ - ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود
التعريف بهذا التفسير وطريقة مولفه فيه :

إن صاحب هذا التفسير شغل كثيرا بالتدريس و القضاء و الفتوى
ولكنه اختلس فرصا من وقته ألف فيها كتابه في التفسير ، و المؤلف نفسه
يقرر هذا في مقدمة تفسيره ، و لم يعرف أنه أخرج تفسيره للناس دفعة
واحدة بل ذكر أنه ابتداء فيه فلما وصل إلى آخر سورة [ص] عرض له
من الشواغل ما جعله يتوقف في تفسيره عند هذا الحد فيفيض ما كتب في
شعبان سنة ٧٣ هـ ثم أرسله الى الباب العالي ، فتلقاء السلطان خان بحسن
القبول ، و انعم عليه بما أنعم وزاد في وظيفته كل يوم خمسمائة درهم ثم
تيسر له بعد ذلك اتمامه ، فآتمه بعد سنة ، ثم أرسله إلى السلطان ثانيا بعد
اتمامه فقبله السلطان بمزيد لطفه و إنعامه وزاد في وظيفته مرة أخرى .

و الحق أن هذا التفسير غاية في بابه ، و نهاية في حسن الصوغ و جمال
التعبير كشف فيه صاحبه عن اسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد إليه

ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم ، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كتب في التفسير .

ومن هنا يتبين لنا أن أبا السعود يعتمد في تفسيره على تفسير الكشاف والبيضاوي وغيرهما ممن تقدمه .

عنايته بالكشف عن بلاغة القرآن و سر إعجازه .

إهتمامه بالمناسبات و إلمامه ببعض القراءات .

إقلاله من رواية الاسرائيليات .

إقلاله من ذكر المسائل الفقهية .

تناوله لما تحتمله الآيات من وجوه الاعراب .

وبالجملة فالكتاب بحق دقيق غاية الدقة ؛ بعيد عن خلط التفسير بما

لا يتصل به غير مسرف فيما يضطر إليه من التكلم عند بعض النواحي العلمية

و هو مرجع مهم يعتمد عليه كثير ممن جاء بعد من المفسرين .

١٠ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للآلوسي

التعريف بهذا التفسير و طريقة مولفه فيه :

ذكر مولف هذا التفسير في مقدمته أنه منذ عهد الصغر ، لم يزل متطلبا

لاستكشاف سر كتاب الله المكتوم ، متربيا لارتشاف رحيقه المختوم ،

و أنه طالما فارق نومه لجمع شوارده ، و فارق قومه لوصال خرائده لا يرقل

في مطارف اللهو كما يرقل أقرانه ، و لا يهب نفائس الاوقات لحسانس

مورد الظمان في علوم القرآن

الشهوات كما يفعل اخوانه ، وبذلك وفقه الله للوقوف على حقائقه .

مكانة هذا التفسير من التفاسير التي تقدمته :

ان هذا التفسير - و الحق يقال - قد افرغ فيه مؤلفه وسعه وبذل مجهوده حتى أخرج له للناس كتابا جامعا لآراء السلف رواية و دراية مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة و عناية فهو جامع لخلاصة كل ما سبق من التفاسير .

موقف الآلوسی من المخالفين لأهل السنة :

و الآلوسی سلفی المذهب سنی العقيدة ، ولهذا نراه كثيرا ما يفند آراء المعتزلة والشيعة ، وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه .

الآلوسی والمسائل الكونية :

وبما نلاحظه على الآلوسی في تفسيره ؛ أنه يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة ؛ ويقر منه ما يرتضيه ، ويفند ما لا يرتضيه .

كثرة استطراده للمسائل النحوية :

موقفه من المسائل الفقهية :

نجد أنه إذا تكلم عن آيات الأحكام فإنه لا يمر عليها إلا إذا استوفى

مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم تعصب منه لمذهب بعينه .

موقفه من الاسرائيليات :

و بما نلاحظه على الآلوسى أنه شديد النقد للأسرائيليات و الأخبار
المكذوبة التى حشا بها كثير من المفسرين و ظنوها صحيحة مع سخريه منها أحيانا .
تعرضه للقراءات و المناسبات و أسباب النزول :

إن الآلوسى يعرض لذكر القراءات ولكنه لا يتقيد بالمتواتر منها كما
أنه يعنى بإظهار وجه المناسبات بين السور ، كما يعنى بذكر المناسبات بين
الآيات و بذكر أسباب النزول للآيات التى نزلت على سبب ، وهو كثير
الاستشهاد بأشعار العرب على ما يذهب إليه من المعانى اللغوية .
الآلوسى و التفسير الإشارى :

و لم يفت الآلوسى أن يتكلم عن التفسير الإشارى بعد أن يفرغ
من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات ، و من هنا عد بعض العلماء
تفسيره هذا فى ضمن كتب التفسير الإشارى ، كما عد تفسير النيسابورى فى
ضمنها كذلك ولكنى رأيت أن أجعلها فى عداد كتب التفسير بالرأى المحمود ،
نظرا إلى أنه لم يكن مقصودهما الأهم هو التفسير الإشارى بل كان ذلك
تابعا - كما يبدو - لغيره من التفسير بالظاهر ، وهذه - كما قلت - من مسألة
اعتبارية لا أكثر ولا أقل وإنما أردت أن أبين جهتي الاعتبار .

وجملة القول ، فروح المعانى للآلوسى ليس الا موسوعة تفسيرية
قيمة . جمعت جل ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه مع النقد الحر
والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن و صفاء القريحة ، وهو و ان كان يستطرد

الى نواح عليية مختلفة مع توسع يكاد يخرججه عن مهمته كفسر إلا انه متزن
في كل ما يتكلم فيه بما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه وشمول
الاحاطة بكل ما يتكلم فيه فجزاه الله عن العلم و أمله خير الجزاء ، إنه سميع
مجيب وبعد

فهذه هي أهم كتب التفسير بالرأى الجائز وهناك كتب أخرى تدخل
في هذا النوع من التفسير ولها أهميتها وقيمتها ، كما أن لها شهرتها الواسعة
بين أهل العلم الذين يعنون بالتفسير ، غير أني أمسكت عنها هنا مخافة
التطويل ، ولعدم إمكان الحصول على بعضها وأحسب أن في هذا القدر
كفاية وغنى عن كتب أخرى كثيرة . هذا والله أعلى وأعلم بالصواب .

والحمد لله أولا وآخرا . وصلى الله وسلم وبارك على من لا نبي
بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن بيان و معجزة في آن واحد

إقتضت حكمة الله تبارك و تعالى : أن تكون معجزة الرسالة الخاتمة أو الآية الدالة على صدق الرسول في التبليغ عن ربه هي القرآن الذي جمع بين البيان الواضح ، و الإعجاز القاطع لحجة العناد و الجحود ، و ذلك لينتبه استمرار التبليغ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرار وسائل الاقتناع على مر الزمن .

و على هذا لم يكن دليل إعجاز القرآن الكريم قاصرا على الإعجاز اليباني كما كان في عصر النزول - بل كان جامعا لعدد هائل من دلائل الإعجاز بحيث يواجه كل العصور ، و جميع نواحي النشاط الانساني في تفوق معجز . يجذب الى دعوته المزيد من الاجيال .

أقول ان أئمة الكفر اتقسهم شعروا بسلطانه على القلوب - و هو القدر المتاح لهم لادراك إعجازه اليباني - فقالوا لاتباعهم : [لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون] .

وذلك خوفا من سريان الروح التي شعر بها الوليد بن المغيرة حين قال : [إن له لحلاوة و ان عليه لطلاوة و انه لمثمر أعلاه مغدق أسفله

مورد الظلمآن في علوم القرآن

وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته [

و هو نفس الاعجاز الذى ادرك منه عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وجها يناسبه حينما سمع القرآن في بيت أخته فتهاوى صرح الشرك من قلبه
وشمخ صرح الايمان في كيانه .

و من هذه الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، و تلك
الهيئة التى تعزيبهم عند تلاوته ، أسلم جماعة من كفار العرب عند سماعهم
آياته منهم جبير بن مطعم ، فانه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في
المغرب بالطور قال فلما بلغ قوله تعالى : [أم خلقوا من غير شيء أم هم
الخالقون] الى قوله [المسيطرون] كاد قلبي أن يطير ، و ذلك أول ما وقر
الاسلام في قلبي .

إلى غير ذلك مما هو معلوم لنا في تاريخ دعوة الاسلام .
لقد صحح القرآن كثيرا من النظريات العلمية التى كانت سائدة في
عصر التنزيل وسجل في مكان تلك النظريات حقائق ثابتة لا تقبل التبديل
ولا التغيير ، فكان ذلك إلى جانب استعمال القرآن للحقائق الكونية في
الدعوة الى الخالق الحكيم المبدع تحديا للعقل البشرى باحقاق الحق مكان
الباطل على يد رسول أمى ما كان يتلو كتابا و لا يخطه يمينه .

وصدق الله تعالى الذى تحدى العالم كله في كل العصور في معرض
الدلالة على وحدانيته وتفرده بالسلطان ، و ذلك حينما قرر قيام دولة الاسلام

على الأرض وعجز كل القوى العالمية عن أن تقضى على مجدهما فقال : [وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا] .

وقال : [إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون] .

مؤامرات العالم على الاسلام وصدوده شامخا أمام المؤامرات بل واتساع سلطانه على القلوب أعظم دليل وأصدق برهان على اتساع مدى الاعجاز القرآني إلى جانب إقناع اليان وتجاوز هذا الاعجاز نطاق البلاغة والفصاحة ، وتصحيح النظريات العلمية ، والتنبؤ بالمستقبل إلى نطاق السياسة و الاجتماع والعلوم التجريبية كلها . أما والرسول العظيم يأبى أن تكون الشمس في يمينه والقمر في يساره إلا أن يظهر دين الله ، فالأمر إذن فوق جودة الأسلوب - وفوق كل الاعتبارات . وذلك هو : اذعان العرب عاجزين ، أو انقيادهم مختارين الى تلك العظمة القرآنية التي تفوق مقاييس العظمة الاسلوية المتعارفة آنذاك وكانت ناقة صالح ، وعصا موسى وبقية آياته التسع ، وإحياء الموتى على يد عيسى عليهم السلام آيات مؤيدات لبيان اللسان وحجة العقل وتحديا لأهل العناد بأن قوة عظمى تحكم الكون غير قوة المادة .

كما تحدى موسى سحر قومه بعصاه وعيسى طب عصره بإحياء الموتى

مورد الظلمآن في علوم القرآن

وآمن الكثيرون حينما تأملوا وتدبروا وعابنوا المعجزة بالقلوب .

فالاعجاز على أى حال هو - وسيلة إيمان ، ووسيلة ضلال - [يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين] .

من هنا كان وجه من وجوه عظمة القرآن هو أن يجمع بين اليان والاعجاز فلا تكون الآية الدالة على صدق الرسول منفصلة عن اليان كما كان ذلك في رسالة موسى و عيسى عليهما السلام ، اذ كانت آية موسى التسع واحياء المسيح للوتى شيئا منفصلا تماما عن صلب التوراة والانجيل . أما القرآن فلما كان مصدقا للتوراة والانجيل ومبيننا عليهما ، وجامعا لحقائقهما ، فقد اجتمع في صلبه البلاغ المبين والاعجاز القائم مدى الدهر ، وما ذاك الا لانه كتاب لم ينزل لهداية العرب خاصة وإنما نزل لهداية البشرية كلها في عصر الرسول وبعد عصره وإلى أن تقوم الساعة . فلو انفصلت آية صدق الرسول عن نفس القرآن كما حدث في الرسائل السابقة فمن الذى كان يأتى الناس بهذه الآية التى هى المعجزة بمعناها الاصطلاحي الآن ؟ يعنى أنه إذا ارتاب قوم في صدق النبي صلى الله عليه وسلم في عصرنا الحاضر فمن أين نأتى بالرسول ليطالبوه بمعجزة مادية تدل على صدقه ؟ ولهذا كان القرآن نفسه يانا ومعجزة في آن واحد ولم تكن مادة إعجازه شيئا واحدا بحيث لا تلائم الا عصرا واحدا ، أو مجموعة من الاجيال بعينها بل كانت مواد إعجازه كامنة في أطوائه ، وكلما تقدم المنكرون الجاحدون في العلم المادى انكشف من وجوه إعجازه

مورد الظمان في علوم القرآن

وجه يجمع ضلالات الكفر ، ويهدى إليه الآلوف المؤلفة في كل عصر ، وهو ما نشهده الآن وقبل الآن وما تشهده الأجيال بعد الآن باذن الله .
وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى في حديث أخرجه البخارى عنه قال : [ما من الأنبياء نبي الا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى اوتيته رحيا أرحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا] .

قال فى معناه : إن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدا إلا من حضرها ، ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة ، وخرقه للعادة فى أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات ثابت ، فلا يمر عصر من الأعصار الا ويظهر فيه شئ مما أخبر أنه سيكون ، يدل على صحة دعواه .

والمعجزات كانت حسية تشاهد بالابصار ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه فيها أكثر ، فما يشاهد بعين الرأس ينقض بانقراض مشاهدته ، وما يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا .
ومن هنا كان استبطان القرآن للبيان والاعجاز معا فى وقت واحد دليلا على صدقه وعالمية رسالته .

المراجع

- ١ - الاتقان في علوم القرآن
شيخ الاسلام جلال الدين عبد الرحمن
السيوطي
- ٢ - البرهان في علوم القرآن
للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي
الدكتور صبحي الصالح
- ٣ - مباحث في علوم القرآن
- ٤ - مناهل العرفان في علوم
القرآن
الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني
- ٥ - مناهج الجدل في القرآن
الكريم
الدكتور زاهر عواض الألمعي
- ٦ - الأحكام والنسخ في القرآن
الكريم
الشيخ محمد حمزة
الدكتور عبد الهادي الفضلي
- ٧ - القراءات القرآنية
للحافظ جلال الدين السيوطي
- ٨ - أسرار ترتيب القرآن
للإمام أبو الحسن سعيد بن مسعدة البصري
- ٩ - معاني القرآن
- ١٠ - نظرات تحليلية في القصة
القرآنية
الشيخ محمد المجذوب

- ١١ - الاشارات العلية في القرآن الكريم
الشيخ محمد وفا الاميرى
- ١٢ - الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه
لابي محمد مكي بن أبي طالب القيسى
للامام محمد بن الجزرى
- ١٣ - النشر في القراءات العشر
- ١٤ - طيبة النشر في القراءات العشر
للامام محمد بن الجزرى
- ١٥ - حرز الامانى - المعروف بالشاطية
للامام أبي القاسم بن فيره الشاطبي
- ١٦ - ارشاد المريد
للشيخ على محمد الضباع
- ١٧ - البدور الزاهرة
للشيخ عبد الفتاح القاضى
- ١٨ - أصول القراءات
الشيخ صابر حسن محمد أبو سليمان
- ١٩ - لمحات في علوم القرآن
للشيخ محمد على الضباع
- ٢٠ - اتحاف فضلاء البشر
لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد
الدمياطى الشهير بالبناء

تابع قائمة المراجع

- | | |
|------------------------------|---|
| ٢١ - مقدمتان في علوم القرآن | تحقيق الدكتور آرثر جفرى |
| ٢٢ - التبيان في أقسام القرآن | العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر
المعروف بابن قيم الجوزية . |
| ٢٣ - الجديد في أحكام التجويد | الشيخ ابراهيم عبد الرزاق أبو على
عبد الكريم الخطيب |
| ٢٤ - اعجاز القرآن | للباقلانى |
| ٢٥ - اعجاز القرآن | محمد حسين الذهبي |
| ٢٦ - التفسير و المفسرون | مناع القطان |
| ٢٧ - مباحث في علوم القرآن | لتاج القراء محمود بن حمزة بن نصر
الكرمانى . |
| ٢٨ - أسرار التكرار في القرآن | |

شكر وتقدير

أما بعد !

فانى أتوجه باجزل الشكر الى - ادارة مدرسة ثانوية تحفيظ القرآن الكريم بالرياض حيث شجعتى ومكنتى من المضى فى هذا السيل .

كما أشكر كل من عاونتى فى هذا الكتاب برأيه ، أو بامدادى بالكتب أو بسعيه أو بقرامته و الاقبال عليه أو بتقديره وتشجيعى على المضى فيه .

و ارجو كل من يطلع عليه أن يلتمس لى العذر ان كنت قصرت ، وأن يرشدنى الى الصواب ان كنت اخطأت ، و يعلم الله انى - حاولت جهد طاقى فى تبسيط الأسلوب ، و سبك اللفظ ، و جودة العبارة ، و وضوح المعنى ، و حسن الاخراج ، و لعلى سددت أو قاربت ، و على كل حال فالعود أحمد ان شاء الله و أستغفر الله من كل خطيئة و زلل ، و أسأله أن يقابل بالقبول ما وقفنا اليه من نافع العلم و صالح العمل ، و أن يصلح منا جميعا الحال و المآل ، و أن يحقق الاسلام و المسلمين جميع الآمال .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و آله و صحبه و من تبعهم باحسان الى يوم الدين و سلام على المرسلين ،
والحمد لله رب العالمين ؟

(خاتمة)

و هذا آخر ما يسره الله تبارك و تعالى من جمع كتابنا هذا المسمى [بمورد الظمان] في علوم القرآن - والله أسأل أن يعم به النفع وأن يتقبله منى عملا خالصا لوجهه الكريم ، و أن يكون حجة لى يوم القيامة وكفة راجحة فى - ميزان أعمالى - يوم يقوم الناس لرب العالمين انه - على ما يشاء قدير ، و بالاجابة جدير ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين ليلة الثلاثاء الموافق ١٧ من شهر ربيع الثانى سنة ١٤٠٣ هـ من الهجرة النبوية .

والحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله وسلم وبارك على من لا نرى بعده سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم .

المؤلف :

صابر حسن محمد أبو سليمان

مدرس علوم القرآن

بثانوية تحفيظ القرآن الكريم

بالرياض .

(فهرس الكتاب)

الآبواب	الصفحة
١ - كلة الناشر	٣
٢ - مقدمة المؤلف	٥
٣ - علوم القرآن	٦
٤ - الوحى تعريفه أنواعه طرقة	٩
٥ - معرفة المكى والمدنى	١٨
٦ - أسباب النزول	٢٨
٧ - الاحرف السبعة	٤١
٨ - المحكم والمتشابه	٥٤
٩ - العلم والخاص	٦٣
١٠ - الناسخ والمنسوخ	٧٣
١١ - المطلق والمقيد	٨٦
١٢ - المتطوق والمفهوم	٨٩
١٣ - اعجاز القرآن	٩٧
١٤ - قصص القرآن	١١٠

فهرس الكتاب

الآبواب	الصفحة
١٥ - امثال القرآن	١١٦
١٦ - علم الرسم القرآنى	١٣١
١٧ - التفسير و التاويل و الفرق بينها	١٨٠
١٨ - شروط المفسر و آدابه	١٨٩
١٩ - آداب المفسر	١٩٤
٢٠ - نشأة علم التفسير	١٩٧
٢١ - التفسير بالمأثور	٢٠٧
٢٢ - مناهج المفسرين بالمأثور	٢١١
٢٣ - التعريف باهم كتب المفسرين بالمأثور	٢١٥
٢٤ - التعريف باهم كتب المفسرين بالرأى الجائز	٢١٦
٢٥ - مناهج المفسرين بالرأى الجائز	٢١٧
٢٦ - القرآن بيان و معجزة فى آن واحد	٢٣٤
٢٧ - المراجع	٢٣٩
٢٨ - شكر و تقدير	٢٤٢
٢٩ - خاتمة	٢٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم
من منشورات

مكتبة ابن تيمية الخيرية للتوعية الإسلامية

هذه آيات لابراهيم بن الادم رحمه الله في الحث على قيام الليل قال :

قم الليل يا هذا لعلك ترشد	الى كم تمام الليل والعمر ينفد
أراك بطول الليل وبحك نائما	وغيرك في محرابه يتعبد
أترقد يا مغرور والنار توقد	فلا حرما يظني ولا الجمر يخمد
ألا إنها نار يقال لها لظى	فتظلم أحيانا وحينئذ توقد
فيأراكب العصيان ويحك خلها	ستحشر عطشانا ووجهك أسود
ولو علم البطلال ما نال زامد	من الأجر والاحسان ما كان يرقد
فصام وقام الليل والناس نوم	ويخلو برب واحد يتعبد
بعزم وحزم واجتهاد ورغبة	ويعلم ان الله ذو العرش يعبد
فلو كانت الدنيا تدوم لأهلها	لكان رسول الله حيا يخلد
فكم بين مشعل بطاعة ربه	وأخر بالنيب الثقيل مقيد
فهذا سعيد في الجنان منعم	وذاك شقي في الجحيم مخلد
كأنى بنفسى في القيامة واقف	وقد فاض دمعى والمفاصل ترعد
وقد نصب الميزان للفصل والقضا	وقد قام خير العالمين محمد
الى الله يرجو لطفه تحت عرشه	بكل دعاء صالح وهو ساجد
ليشفع عند الله في أهل موقف	توالت على العاصين فيه الشدائد
فصل الهى كل يوم وليلة	على أحمد المختار ما حزن راعد
مع الآل والأصحاب ما قال قائل	قم الليل يا هذا لعلك ترشد

